

الحوارات التنويرية

قراءة في شعر الفرق الإسلامية عصر بني أمية

منتدى سور الأندلس

WWW.BOOKS4ALE.NET

دكتور

أحمد محمد عوين



ت: ٥٣٥٤٤٣٨ / ٠٣ اسكندرية

منتہی سورا الازہکیہ

WWW.BOOKS4ALL.NET

الحوارات التنويرية

قراءة في شعر الفرق الإسلامية عصر بنى أمية

دكتور

أحمد محمد عوين

كلية التربية بالعريش - جامعة قناة السويس

الطبعة الأولى

٢٠٠٣م

الناشر

دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر

تليفاكس : ٥٢٧٤٤٣٨ - الإسكندرية

الحوارات التنويرية

قراءة في شعر الفرق الإسلامية عصر بني أمية



الناشر: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر

العنوان: بلوك ٣ ش ملك حفنى قبلى السكة الحديد - مساكن
درباله - فيكتوريا - الإسكندرية.

تليفاكس: ٥٢٧٤٤٣٨ / ٠٠٢٠٣ (٢ خط) - موبايل / ٠١٠١٢٩٣٢٣٣

الرقم البريدى: ٢١٤١١ - الإسكندرية - جمهورية مصر العربية.

E- mail

dwdpress@yahoo.com

dwdpress@biznas.com

Website

[http:// www.dwdpress.com](http://www.dwdpress.com)

عنوان الكتاب: الحوارات التنويرية - قراءة فى شعر الفرق الإسلامية عصر
بنى أمية .

المؤلف: د. أحمد محمد عوين

رقم الإيداع: ١٣٥٥٧ / ٢٠٠١

الترقيم الدولى: 38 - 8 - 327 - 977





إسرائيل

إلى من أنكروا على الحضارة الإسلامية
في بواكيرها توقد الفكر وتتوذر العقل ودموا
سدنتها بالضحالة والسطحية والرجعية
والاتباع.

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد عليه وعلى آله وصحبه أجمعين خير صلاة وأزكى سلام وبعد؛
فَيُعَدُّ شعر العصر الإسلامي مرحلة مفصلية بالغة الخطورة والأهمية في حياة الشعر العربي على مر العصور، بما يمثله من مشهد طويل للخضمة التي تفاوتت بين خضمة زمنية في عصر صدر الإسلام ، وخضمة فنية أزعج أنها امتدت على طول العصر الأموي.

ومما لا يقع في دائرة الشك أن الإسلام حادثة العر الكبرى التي حوَّلت مجرى حياتهم، ودفعتهم إلى تلمس حياة جديدة يتشابك فيها المنفصل بالمتصل ، وتوسع حدود الرؤية المتاحة أمام أعين المسلمين الذين غرس الإسلام في وجدانياتهم وعقولهم أثراً لا يُمحى صدعه، ودخلوا معه إلى رحاب المنطق العقلي للأشياء وأوجهها المختلفة والمتفاوتة.

ونمى هذا كله ما وقف عليه العرب حينما خرجوا من رحم صحرائهم من ثقافات أبناء الأمم الأخرى التي غلبها المسلمون باسم الله في مشارق الأرض ومغاربها؛ فاستعانوا بها على محاولة فهم ما يحيط بهم من أحوال وظواهر، وسعوا إلى تدعيم مرجعيتهم الفكرية التي صقلها ما أصاب تناحرهم التقليدي من صقل وتعمق.
وكان لكل ذلك أثر واضح في سرعة استجابة العقلية العربية للتحول الذي طرأ على الجماعة العربية منذ أواخر عصر الخلفاء الراشدين ، من الانتماء القبلي إلى الانتماء المذهبي.

وبقطع النظر عن تحديد بداية تاريخية حاسمة لهذا التحول ، علاوة على التخلي عن كثير من أعباء التحفظ؛ فإن بالإمكان أن نلمح منذ أواخر النصف الأول من القرن الهجري الأول ملامح واضحة للصراع الحزبي الذي مكنت له الأهواء البشرية الطبيعية في دولة الإسلام.

وما يعيننا من هذا الصراع إنما هو قدرته على عكس مدى نجاح العقلية العربية في الاتساع لما يمكن أن نطلق عليه " الحوارات التنويرية " في شعر الفرق الإسلامية التي استطاعت أن تجتذب إليها أنصاراً ومؤيدين يدافعون عنها وعن مشروعيتها وجودها ودعائمه النظرية، متخذين في هذا كل ما يمكن أن تصل إليه أيديهم وعقولهم وألسنتهم.

ولعل هذه الدراسة التي بين أيدينا محاولة صادقة لقراءة ذلك الحجاج العميق الذي نشأ بين الفرق الإسلامية على المستويين الفكري والسياسي، ومدى قدرة الشعر على تقديم صورة واضحة جلية لهذا الصراع، إضافة إلى قدرته على تنمية هذا الصراع ودفعه.

وقد ركزت الدراسة على محاولة تقديم صورة حية للخطاب الشعري بكل ما له من أبعاد وملامح عند شعراء الأمويين، والزييريين، والشيعة، والخوارج، والمرجئة والمعتزلة؛ على نحو يكشف بوضوح عن الطرح الفكري والقيم الفنية في هذا الشعر، وإن كان التركيز الأساسي قد انصرف إلى مصلحة الرؤية الفكرية التي يحملها هذا اللون من الشعر بما يمثله من حوار بالقوة بين أحزاب يقف بعضها في وجه بعض. وبعد فلا أستطيع الزعم أنني قد وفيت هذا العمل حقّه، فإن كنت قد وفقتُ في شيء منه ، فإنما الفضل لله ﷻ من قبل ومن بعد، وإن كانت الأخرى فحسبي الجهد المخلص.

والله الموفق ،،،

د. أحمد محمد عوين

الإسكندرية في ٢٠٠١/٧/١٥م

- ١ -

مَهْيَدُ

إنه بالنظر في المعاجم العربية يظهر لنا أن الحوار هو مراجعة الكلام والمجادلة بين طرفين، والحوار في أصله اللغوي حوارٌ كلاميٌّ غير أننا يمكن أن نخلع هذا التعبير على محاورة العقول والمجادلة بين الأفكار، والحوار إذن يتسع للعديد من الأشكال الفنية التي ظهرت في حضارتنا العربية قديمها وحديثها، وذلك لنشر دعوة أو ترويج فكرة أو الدفاع عن اعتقاد، وهدف كل من هؤلاء محاولة الوصول إلى الحقيقة المستقرة في عقيدته وإيمانه بما ينصره.

وقد استقر في أذهان الدارسين مجموعة من السمات الفنية التي تلقي بظلالها على الحوار؛ منها الاعتماد على التساؤل والاستفهام بقصد الاختبار وتعجيز الخصم أو جذب انتباهه، ومنها الاتكاء على الأساليب السهلة والجمل الواضحة التي لا تثير اللبس في أذهان الجمهور، ومنها البعد عن التشكيلات الخيالية، اللهم إلا إذا كان هذا في مجلس سمر، ويؤدي هذا كله إلى قوة الحجج والبراهين، بشرط أن يُغلف ذلك سرعة البديهة من قبل المحاور في السؤال والإجابة على حد سواء.

أما 'التنوير' فإنه من الناحية اللغوية يتعلق بالنور والضياء من جهة وبالنور أو إزهار الأشجار من جهة أخرى، ومن ثمَّ فالتنوير يعني أحد أمرين هما:

١- النور الساطع الذي يهدي الضالّين ويُنير لهم سبلهم بعد إظلامها.

٢- النور الأبيض الجميل الذي يُنبىء عن اكتمال نضج الشجرة وسريان الحياة في أوصالها حتى غدت تزهر النوار ومن ثم تأتينا بثمارها الشهية، وبناء على هذا فالتنوير هو مظهر إزهار العقل الذي زرعه صاحبه في أرض خصبة من الثقافة والمعرفة.

ومعنى هذا أن التنوير لفظ اصطلاحي يوحى بالنور والعقل معاً، فالعقل والنور مدلولان مرتبطان ارتباطاً وثيقاً. الأول يشير إلى الثاني إشارة السبب إلى النتيجة، والثاني يشير إلى الأول إشارة المعلول المتعدد الأبعاد إلى العلة الواحدة المتجددة، وقد كانت اللغة العربية أسبق من غيرها في استعارة النور للمعرفة^(١).

(١) راجع جابر عصفور، أنوار العقل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦م (ص ٥).

ومن ثم نحاول في هذا المقام - النظر من خلال نوافذ مضيئة مطلة على تراثنا العربي الثري بما حواه من أرجاء رحبة للثقافة ودروب المعارف المختلفة، وحركة الفكر مطلب ضروري للإنسان في كل زمان ومكان، وللمتلقي أن ينهل من ألوان الثقافة المختلفة ما تنوق إليه نفسه وما يحلو له أن يغذي به عقله ويُنمي به فكره، ومن ثم يتأمل العقل وينطلق الفكر نحو مجالات تنويرية تُجدد نشاط الإنسان وتُثري حركته في الخيال والإبداع سعيًا إلى حياة أفضل.

والثقافة تُعد سُلماً يرقى بأصحابه إلى قمم الحضارة إذا أفلح صاحبها في أن يسلك سبلها المنيرة بالأخلاق والنفع العام، وتعد من ناحية أخرى مَعولاً يهدم النجاحات كلها قديمها وجديدها إذا ضل صاحبها في اختيار وسائلها النافعة، فالثقافة إذن إما أن تكون تنويرية وإما أن تكون تدميرية.

وليس معنى ما ذهبنا إليه أننا نُقصر المعرفة على نوع دون غيره أو نوجهها نحو درب دون آخر، ولكننا نرمي إلى ضرورة التهام كل ما يقابلنا من مصادر الثقافة المختلفة بشرط أن نمرر ذلك كله داخل أنابيب اختبار فكرية فنحللها إلى عناصرها الأولى، ونستخلص من خلال تجربتنا الثقافية النتائج التي ترمي إليها والتي يمكن أن تساعد على التطوير والنهوض بمجالات مجتمعتنا المختلفة، وهذا عينه هو ما حدث في تراثنا العربي فكراً وشعراً على السواء.

فليس من شك في أن عقلية الشاعر العربي الأموي قد تَمَثَّل ذلك الفكر كله وملاً به شعره، ولا يخفى أن عقلية الشاعر الأموي قد اختلفت كثيراً عما كان سائداً لدى من سبقه من الشعراء، إذ دار فكره في فلك كان أبعد ما يكون عن الشاعر الجاهلي أو ذلك الذي عاش بواكير الإسلام.

ولعل أهم ما يلاحظ على تطور عقلية الشاعر الأموي ونمو تفكيره "أننا نحس عنده أنه أخذ يتناول حرفته تناولاً جديداً، عماده البحث والدرس اللذان ألفهما في بينات الفقهاء وأصحاب التفكير في العقيدة الدينية من إرجاء وقَدَرٍ وجَبَرٍ وعدل

ومنزلة تتوسط منزلتين، كما توسطت منزلة صاحب الكبيرة بين الكفر والإيمان عند واصل^(٦).

وقد لعبت كل من بينتي البصرة والكوفة دوراً كبيراً في ذلك التنوير العقلي لما امتازت به كل منهما من حدة في الصراع الفكري والمذهبي والسياسي جميعاً، ومن الثابت أن الفِرْقَ قد كثر وجودها في البصرة وتشعبت وتفرقت بين معتزلة ودهرية وشيعة وقدرية وغيرها مما ساعد على انتشار الطابع العقلي البحث مع جنوح شديد إلى المنطق الذي يدفع أصحابه إلى البحث والنقد والتمحيص^(٧).

ويؤكد ذلك - أيضاً - كثرة المناقشات والمجادلات الفكرية في بيئة البصرة حول مسألة القدر مثلاً، وقد كان الحسن البصري زعيم هذه المدرسة في ذلك، ويُروى أن عطاء بن يسار ومعبداً الجهني كانا يأتياه فيقولان: "إن هؤلاء الملوك - بني أمية - على قدر الله، فيقول كذب أعداء الله"^(٨). وقد كان يُعرف عن الحسن البصري حرصه على هذا النوع من الجدل العقلي، كما كان يُكثر من هذه المناظرات في مجالسه الخاصة، وقد روى أيوب السختياني أنه كان يقول: "نازعت الحسن في القدر غير مرة"^(٩).

كما لا يخفى ما قامت به الكوفة من دور كبير في مذهبين كبيرين حيث كانت المنشأ الأول لفرقتي الشيعة والمرجئة اللتين كانتا صورة للفرار من الحياة الواقعية إلى حيث الخيال الذي تسيطر عليه النزعة النظرية والاتجاه السلبي.

(٦) شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، دار المعارف، ١٩٩٢م، ص ٨١.

(٧) راجع أحمد كمال زكي، الحياة الأدبية في البصرة إلى نهاية القرن الثاني الهجري، دار المعارف، ١٩٧١م، ص ٨٢.

(٨) ابن قتيبة الدينوري، المعارف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٦، تحقيق ثروت عكاشة، ١٩٩٣، ص ٤٤١.

(٩) محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق سهيل الكيالي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ٥، وما بعدها، ٢١٨.

ففرق الشيعة في معظمها نشأت نشأة سياسية ثم تحولت بعد ذلك إلى مذاهب دينية ذات مسحة عقلية، ويثبت الأمر نفسه في مواجهة المرجنة من حيث النشأة والتطور، ومن ثم نستطيع الجزم أن الكوفة « كانت المدينة التي نقلت الصراع السياسي من صورته الحزبية إلى صورة عقلية - أو بتعبير آخر - من صورته العملية إلى صورة نظرية ... فيما عدا الشيعة الزيدية التي كانت الفرقة العملية الإيجابية الوحيدة من بين فرق الشيعة»^(١).

ومن ثم كان موضوع هذه الدراسة التي نحن بصددتها من أخطر الموضوعات التي أثارت جدلاً في تاريخ الفكر العربي بما يحقق فكرة الحوار كما نفهمها، وهو الجدل العقلي الذي نشأ حول المعتقدات الفكرية بين الأفراد والجماعات والفرق المختلفة، ومن ذلك هذا الجدل الفكري والحوار العقلي الذي نشأ بين الفرق الإسلامية وخصوصاً الخوارج والشيعة والمعتزلة.... إلخ، وتعتمد هذه المذاهب - في معظمها - على خلفية دينية أحياناً، وتقف أحياناً أخرى كثيرة على أرض مائدة تمثل قشرتها ظاهر الدين الذي يتمشى مع أهوائهم، وقد أوقعهم في هذا ذلك الصراع بين الواقع الذي انطلقوا منه والمثال العقلي الذي اعتقدوه.

لكن ذلك كله في النهاية ينم عن حياة مائجة بالثقافات المختلفة والصراعات الفكرية المتشعبة في منابعها من جهة واتجاهاتها من جهة أخرى، والثابت أن هذه الصراعات وما أنتجت من جدل وحوارات عقلية تبرز بوضوح في شعر الدولة الأموية التي تعد مهبطاً لكثير من هذه الأفكار ومسرحاً لعدد ضخم من صراعاتها؛ لذا أصاب الشعر الأموي كثير من التطور والرقى لاتصاله المباشر بكل ما ساد عصره من ثقافة فكرية وعقلية " فالبناء الفني للشعر لم تنفصل وحداته عن البناء العقلي العام بل

^(١) يوسف خليف، حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني الهجري، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م، ص ٣٢١.

قل إن هذا البناء أخذ يتشكل في أوضاع جديدة تحت تأثير الرقي الفكري الذي أصاب العقلية العربية" (٧).

ومن الثابت أيضاً أن هؤلاء الشعراء - في معظمهم - يقوم نتائجهم على الاحتجاج العقلي، ومن ثم لم يكن غريباً على شاعر مثل الكميت بن زيد^(٨) - في ديوانه الهاشميات الذي وضعه لنصرة مذهب الزيدية في قول أو الهاشميين عامة في قول آخر - أن يملأ شعره بالاحتجاج العقلي إذ إنه شيعي من ناحية ومعتزلي من ناحية أخرى؛ لأنه صاحب زيد بن علي بن الحسين الذي كان تلميذاً لواصل بن عطاء^(٩).
ومن الثابت - أيضاً - أن ذلك الحوار الجدلي الذي دار من قبل أصحاب الفرق ليس غريباً أن يقع بين هؤلاء الناس لأن الناس بصفة عامة يختلفون في نظرهم إلى ما حولهم من أمور باختلاف ما تقع عليه أنظارهم وما يثير إعجابهم أو نفورهم، وكلما تقدم الإنسان نحو المدنية وتغلغل في الحضارة - كما كان الوضع عند الأمويين - زاد الاختلاف والتباين حتى تتولد المذاهب الفلسفية والفكرية المختلفة.
إن أسباب هذه الاختلافات التي وقع فيها المسلمون تختلف باختلاف مصادرها التي دفعت المسلمين إلى ذلك الشعب، فمنها ما تعلق بالعصبية التي رفضها الإسلام واختفت إلى حد كبير حتى نهاية حكم الخليفة الثالث عثمان بن عفان، ومنها ما تعلق بمن له الحق في الخلافة، ومنها ما ورد إلى المسلمين من أفكار

(٧) شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، ص ٨٥.

(٨) الكميت بن زيد أبو المستهل الأسدي، وُلد بالكوفة نحو سنة ستين للهجرة (٦٠هـ)، وعمل معلماً فيها. اشتهر بشيعة آل البيت، وتعصبه للمضرية على القحطانية. انضم إلى الحركة الزيدية وصار المتكلم باسمها في أشعاره التي اشتهرت بقصائده المعروفة بالهاشميات. تُوفي نحو سنة ست وعشرين ومائة للهجرة (١٢٦هـ) متأثراً بجرح أصابه أثناء ثورة جند اليمانية.

انظره في : الشعر والشعراء: ٥٨٥ ؛ شعراء الشيعة: ٦٥، ٧٤ ؛ وفيات الأعيان: ٢١٩/٥ ؛ الأعلام: ٥/ ٢٣٣.

(٩) راجع الشيرستاني . الملل والنحل . تقديم وإعداد د. عبد اللطيف محمد العبد ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط ١، ١٩٧٧م ، ص ١٥٨ .

الأمم الأخرى نتيجة لدخول أهل هذه الأمم، وأصحاب الديانات كاليهود والنصارى
والمجوس وغيرهم. ومن هؤلاء من حسن إسلامه مع احتفاظه بتراثه الفكري، ومنهم
من أظهر الإسلام وأبطن الكفر والحقده عليه وعلى أهله، إضافة إلى ترجمة كتب
الفلسفة التي دعت المسلمين إلى التفكير في الأمور الاعتقادية تفكيراً فلسفياً.
وأياً ما كان خطر هذا الخلاف الذي دب في أوصال الأمة الإسلامية فإن له
أثراً إيجابياً إذ ساعد على إعمال الفكر وانتشار الحوار على ألسنة المسلمين وقتها
ودوران الجدل العقلي بينهم، مما أثرى حياة الفكر العربي وبدأ ذلك في شعرهم بما
لم يكونوا قبل ذلك يعرفون.

(٢)

الأمويون والزييريون

وإذا انتقلنا - بعد هذا - إلى إبراز الخلاف بين المذاهب والأحزاب السياسية المتعددة في الشعر الأموي فلا بد في البداية من أن نشير إلى حقيقة في غاية الأهمية أعنى بها ذبوع الشعر معتمداً على الرواية التي لعبت دوراً كبيراً في ذلك العصر على الرغم من تدوين كثير من العلوم وقتها، وكان الشعر وقتها يمثل الجريدة الحزبية التي تنشر ما ينادي به الحزب من مبادئ وأفكار، كما كان يقوم بالدعاية القوية التي تؤثر أحياناً كثيرة في الرأي العام الذي تتجاذبه اتجاهات متشعبة ومجموعة من الأفكار قليلاً ما تتحقق وكثيراً ما يقع بينها الاختلاف بل التنافر. وهذا طبيعي في ظل وجود هذا العدد الضخم من الأحزاب المتصارعة كالأُمويين والشيعة بفرقها والخوارج بشعبها والحزب الزبيري بقيادة عبد الله بن الزبير (٧٣هـ) الذي طالب بالخلافة بعد قتل الحسين بن علي (٦١هـ) "ومعظم هذه الأحزاب السياسية كانت تستند إلى نظرية تؤيد مطالبها، حتى تحولت هذه النظريات السياسية إلى مذاهب يؤمن بها أصحابها ويدافعون عنها، ويُفُتدون حجج خصومهم في نقضها"^(١).

وقد برز ذلك بوضوح عندما احتدم الصراع بين هذه الأحزاب المتناحرة التي انطلق كل منها دعائياً من بقعة تجمع معظم أنصاره؛ فاستقر الأمويون بالشام والزبيريون بالحجاز والعلويون بالعراق، وقد صور لنا الشاعر الأموي كعب بن جعيل^(٢) هذا الانقسام الشديد بين جماعة المسلمين في قوله :

أرى الشَّامَ تَكْرَهُهُ مَلِكُ الْعِرَاقِ وَأَهْلُ الْعِرَاقِ لَهَا كَارُهُونَا
وَكُلُّ لِسَاحِيهِ مُبْغِضٌ يَرَى كُلُّ مَا كَانَ مِنْ ذَاكَ دِينَا

^(١) د. محمد مصطفى هدارة ، الشعر العربي من الجاهلية حتى نهاية القرن الأول الهجري ، النشأة والتطور، دار المعارف، ط ١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، ص ٩١ .

^(٢) كعب بن جعيل شاعر تغلب في عصره، مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، امتدح معاوية وأهل الشام، وذم علياً كرم الله وجهه. شهد مع معاوية وقعة صفين وفخر بذلك في أشعاره. توفي نحو سنة خمس وخمسين للهجرة (٥٥ هـ).

انظر في : طبقات فحول الشعراء : ٧٥٢ : الشعر والشعراء : ٦٣١ : المؤتلف والمختلف : ٨٤ : معجم الشعراء : ٣٤٤ .

إِذَا مَا رَمَوْنَا رَمِيْنَاهُمْ وَدُنَاهُمْ مِثْلَ مَا يَقْرِضُونَا
وَقَالُوا عَلَيَّ إِمَامٌ لَنَا فَقُلْنَا رَضِينَا ابْنَ هِنْدٍ رَضِينَا^(٣)

وقد أثارت هذه الأبيات ومثيلاتها حفيظة العلويين، فأمر علي شاعره النجاشي^(٤) بأن يرد عليها حتى تصبح هاتان المقطوعتان نموذجاً لاستخدام الشعر في المناقضات السياسية إذ عني النجاشي بنقد أفكار كعب ومعانيه فكرة ومعنى معنى ملتزماً ببحر المتقارب وبروي النون المطلقة فيقول :

وَمَنْ يَا معاوِيَ مَا لَنْ يَكُونَا فَقَدْ حَقَّقَ اللَّهُ مَا تَحْذَرُونَا
أَتَاكُمْ عَلَيُّ بِأَهْلِ الْعِرَاقِ وَأَهْلِ الْجَبَّارِ فَمَا تَصْنَعُونَا
يَرَوْنَ الطُّعْمَانَ خِلَالَ الْعَجَاجِ وَضَرَبَ الْقَوَانِسِ فِي الثَّقَعِ دِينَا
جَعَلْتُمْ عَلِيًّا وَأَشْيَاعَهُ نُظِيرَ ابْنَ هِنْدٍ أَمَا تَسْتَحُونَا!^(٥)

وقد كان الحزب الأموي أضعف هذه الأحزاب المتصارعة حجة من الناحية النظرية وهو يطالب بالخلافة بعد مقتل عثمان، ولما كان الأساس النظري الذي اعتمد عليه الأمويون ضعيفاً لم نجد شعرهم يبرز ذلك الصراع الفكري والجدل العقلي الذي نسعى إليه في هذه الدراسة، لكن فضل هؤلاء الشعراء وقف عند حد المشاركة في حوار عام بين حزبهم الأموي والأحزاب الأخرى المعارضة، إلى حد جعلهم يرجعون بمعاني الشعر إلى الوراء، وبإدارة الحوار معتمدين على تلك المعاني العامة مثل شرف القبيلة منذ الجاهلية، والقوة، وتفضيل الله لهم بانتصاراتهم على أعدائهم. وفي مثل ذلك يقول شاعر الأمويين النصراني - الأخطل^(٦) وهذا مما

^(٣) نصر بن مزاحم، وقعة صفين، تحقيق عبد السلام هارون، المؤسسة العربية الحديثة، ص ٦٣.

^(٤) النجاشي أبو الحارث سمعان، وقيل قيس بن عمرو النجراني، آدم البشرية، كثير الهجاء، كان مع علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه في يوم صفين وهجا معاوية. كما اشتهر بمراثيه، ومن أشهرها مرثية لله في الحسن بن علي. توفي نحو سنة إحدى وأربعين للهجرة (٤١هـ).

انظره في: الشعر والشعراء: ١١٥؛ وفيات الأعيان: ٣٥٨/٥؛ سمط اللآلي: ٨٩٠؛ الأعلام: ٢٠٧/٥.

^(٥) ديوان النجاشي. تحقيق سليم النعيمي، مجلة المجمع العلمي العراقي، م ١٣، بغداد ١٩٦٦م: ص ١٢٠. وأنظر أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٣٠هـ، ص ١٦٢.

^(٦) الأخطل أبو مالك غياث بن يغوث التغلبي شاعر مصقول مجيد، أحد فرسان الشعر الثلاثة المقدمين في عصر بني أمية، وأكثر الشعراء مدحاً لحلفائهم. توفي نحو سنة تسعين للهجرة (٩٠هـ).

انظره في: طبقات فحول الشعراء: ٤٥١؛ الشعر والشعراء: ٤٩٠؛ الموشح: ١٣٢؛ ١٤٠=

يؤكد ضعف هذا الحزب في المطالبة بوراثه عثمان ، فهو يزعم تفضيل الله تعالى لبني أمية على أعدائهم مشيراً إلى النصر المظفر الذي أمدّهم بأسبابه الله تعالى يوم صفين ؛ لأن أعداءهم - في نظر الشاعر - قتلوا عثمان ظلماً وبهتاناً ، ثم لا ينسى أن يشير إلى حَسَبِهِم العالِي وبيتهم الشريف ، يقول :

تَمَّتْ جُدُودُهُمْ وَاللَّهُ فَضَّلَهُمْ وَجَدُّ قَوْمِ سِوَاهُمْ خَامِلٌ نَكِدُ
وَيَوْمَ صَفِينِ وَالْأَبْصَارُ خَاشِعَةٌ أَمَدَّهُمْ إِذْ دَعَّوْا مِنْ رَبِّهِمْ مَدَدُ
عَلَى الْأَلَى قَتَلُوا عَثْمَانَ مَظْلَمَةً لَمْ يَنْهَهُمْ نَشْدُ عَنْهُ وَقَدْ نَشَدُوا
وَأَنْتُمْ أَهْلُ بَيْتٍ لَا يُوَارِثُهُمْ بَيْتٌ إِذَا عُدَّتِ الْأَحْسَابُ وَالْعَدَدُ^(٧)

ولما كثرت المطاعن التي رصدها أعداء بني أمية وُضع شعراء الحزب الأموي في موقع المدافع الذي يتلقى الضربات ولا يدافع عنها بحجة عقلية يفترقها في الأساس النظري، بل يرد على المهاجم نفس ما قال ؛ فإذا كان المناهضون لبني أمية يأخذون عليهم ادعاءهم حق الخلافة بل توريثهم العرش، فشاعر الأمويين أبو عطاء السندي^(٨) - وهو أعجمي الأصل كوفي المنشأ - يرفض الهاشميين في الخلافة فيقول :

بَنِي هَاشِمٍ عُودُوا إِلَى نَخْلَاتِكُمْ فَقَدْ قَامَ سِعْرُ الثَّمَرِ صَاعاً يَدْرَهُمْ
فَإِنْ قُلْتُمْ رَهْطُ النَّبِيِّ وَقَوْمُهُ فَإِنَّ النَّصَارَى رَهْطُ عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ^(٩)

=الأغاني: ٢٨٠/٨ ؛ معاهد التنصيص: ٢٢٢/١ .

(٧) شعر الأخطل، صنعة السكري، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، ط دار الفكر المعاصر بيروت، دار الفكر، دمشق ١٩٩٦م، ص ٣٠٣ - ٣٠٦، وديوان الأخطل، تحقيق أنطون صالحاني اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٨٩١م، ٤٤٥/٢، ٤٤٦ .

(٨) أبو عطاء السندي أفلح بن يسار من مخضرمي الدولتين، وهو من موالى بني أسد شاعر فحل قوى البديهة، كان عبداً أسود نشأ بالكوفة وتشيع للدولة الأموية وهجا بني هاشم، حارب ضد العباسيين، وكانت في لسانه عجمة وثغمة فتبنى غلاماً أسماه عطاء ورواه شعره. توفي بعد سنة ثمانين ومائة للهجرة (بعد ١٨٠هـ) .

انظره في : سمط الآلي : ٦٠٢ ؛ فوات الوفيات : ٧٣/١ ، الأعلام : ٥/٢ .

(٩) راجع ابن قتيبة . الإمامة والسياسة، المكتبة المصرية، القاهرة، ١٣٢٥هـ، ١٢٩/١ .

ولعل فكرة توريث العرش والبيعة التي طلبها معاوية بن أبي سفيان لابنه يزيد كانت من أقوى الأسباب التي دفعت عبد الله بن الزبير إلى قيادة حركة التمرد في الحجاز^(١٠) وجعلته يطالب بالخلافة لنفسه بوصفه ممثلاً لأبناء الصحابة من سادة قريش، إذ كان الحزب الزبيري يقصر الخلافة على قريش وعلى الحجاز مركزاً للحكم، ومن ثم افتقر هذا الحزب أيضاً إلى أساس نظري قوي لطلب الخلافة، وإنما كان منطلقه يشبه ما كان قديماً من العصبية القبلية.

وقد جعل بعض الدارسين البداية الحقيقية للحزب الزبيري سابقة على عبد الله بن الزبير عليه السلام، وذهبوا إلى أن بدايته تتعلق بالزبير بن العوام نفسه؛ وقد كان هذا بعد خروجه إلى الكوفة في عهد عثمان بن عفان عليه السلام، حتى إذا ما حوَصِر الخليفة واتفق الثوار على خلعه ولم يتفقوا على من يخلفه كان هوى أهل الكوفة في استخلاف الزبير عليه السلام^(١١).

ومنذ أَمَرَ عثمان عبد الله بن الزبير على داره وقت الحصار وعبد الله يتحين الفرصة، ولكن مقتل طلحة والزبير وهزيمة أهل الجمل أمام علي دفعته إلى أن يُرجى تحقيق أهدافه إلى حين. وساعد على هذا أيضاً ظهور معاوية على المسرح السياسي بقوة (رضي الله عنهم أجمعين).

وآل الأمر إلى يزيد بن معاوية عليه السلام بعد وفاة أبيه الذي أخذ له البيعة بحد السيف، ولكن عبد الله بن الزبير ثار عليه ولم يبايع وأعلن أنه عائد بالبيت^(١٢). وقد سجّل الشعر الأموي أحداث الصراع العنيف بين الأمويين والزبيريين في كل مراحل ووقعاته والذي استمر نحو تسع سنوات، وكعادة الحزب الأموي وعادة شعرائه كانوا يحسبون أخطاء غيرهم ليكتسبوا تأييد الرأي العام على حساب الآخرين، لا انطلاقاً من مبادئ نظرية قوية.

^(١٠) راجع ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، المكتبة المصرية، القاهرة، ١٣٢٥ هـ، ١/١٢٩.

^(١١) أبو الفدا، المختصر من أخبار البشر القاهرة، ١٣٧٤ هـ، ١/١٦٩.

^(١٢) راجع د. النعمان القاضي، الفرق الإسلامية في الشعر الأموي، دار المعارف، مصر، ١٩٧٠ م، ص

وكان شعراء بني أمية يتناولون سقطات ابن الزبير فيجسمونها في أشعارهم كما فعلوا عند قتله أخاه عمرأ (٦٠هـ) ، إذ مثلوه في صورة وحشية. فقد نهكم به الضحاك بن فيروز بن الديلمي^(١٣) وسخر مما يدعيه من الزهد والصلاح، ورماه بقطع الرحم، وبأنه لا يُرَجَى خيره وإلا كان أخوه أولى بذلك، قال الضحاك :

تَخْبِرُنَا أَنْ سَوْفَ تَكْفِيكَ قَبْضَةً وَبَطْنُكَ شِبْرٌ أَوْ أَقْلٌ مِنَ الشَّبْرِ
وَأَنْتَ إِذَا مَا نِلْتَ شَيْئاً قَضَمْتَهُ كَمَا قَضَمْتَ نَارَ الْعُضَا حَطَبَ السِّدْرِ
فَلَوْ كُنْتَ تُجْزَى إِذْ تَبَيْتَ بِنِعْمَةٍ قَرِيباً لَرَدَّتْكَ الْعُطُوفُ عَلَى عَمْرٍو^(١٤)

ومن الشعراء الذين تعرضوا لتلك الحادثة عبد الله بن الزبير الأسدي (٧٥هـ)^(١٥) والذي كان صديقاً لعمر بن الزبير، فرثاه مُعَرِّضاً بأخيه عبد الله وساخراً منه ومن فعلته النكراء، ويتمنى أن يراه وقد أصابه ما أصاب أخاه نتيجة قطعه الأرحام ونشره الفزع:

قَتَلْتُمْ أَهْلَكُمْ بِالسَّيَاطِ سَفَاهَةً فَيَا لَكَ لِلرَّأْيِ الْمُضَلِّ وَالْأَفْنِ
فَلَوْ أَنَّكُمْ أَجْهَزْتُمْ إِذْ قَتَلْتُمْ وَلَكِنْ قَتَلْتُمْ بِالسَّيَاطِ وَبِالسَّجْنِ
وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَرَى فِيكَ مَا تَرَى بِهِ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ مَا دَوْنَهُ يُغْنِي
قَطَعْتَ مِنَ الْأَرْحَامِ مَا كَانَ وَاشْجَاً عَلَى الشَّيْبِ وَابْتَغَتْ الْمَخَافَةُ بِالْأَمْنِ
فَلَا تَجْزَعَنَّ مِنْ سُنَّةٍ قَدْ سَنَنْتَهَا فَمَا لِلدَّمَاءِ الدَّهْرُ تُهْرَقُ مِنْ حَقْنِ^(١٦)

^(١٣) الضحاك بن فيروز بن الديلمي شاعر أموي ، كان أبوه شاعراً مخضرمًا أدرك الجاهلية والإسلام، أصله من شعراء الفرس الذين استوطنوا اليمن بعد طرد الأحابيش .

انظره في : تاريخ الطبري : ٣/٣٢٥ ؛ معجم البلدان : ٥/١٠٢ .

^(١٤) المسعودي، مروج الذهب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت ١٩٨٨م، ٣/٨٥ .

^(١٥) عبد الله بن الزبير الأسدي شاعر من أهل الكوفة اشتهر بتعبه للأمويين على الزبيرية، مات في أيام الحجاج بن يوسف الثقفي نحو سنة خمس وسبعين للهجرة (٧٥هـ).

انظره في : الأغاني : ١٤/٢١٥ ؛ وفيات الأعيان : ٢/٣٤ ؛ سمط اللآلي : ١٤٩ ؛ الأعلام : ٤/٨٧ .

^(١٦) شعر عبد الله بن الزبير الأسدي : جمع وتحقيق الدكتور يحيى الجبوري ، منشورات وزارة الإعلام، الجمهورية العراقية ، بغداد ١٩٧٤م : ص ١٣٦ ؛ وأبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تحقيق إبراهيم الإبياري، ط دار الشعب، القاهرة : ١٩٦٩م، ص ٥١٠٦، وط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣م، مصورة عن ط دار الكتب المصرية ١٤/٢٣٩، ٢٤٠ .

وكان شعراء الأمويين يعتبرون على عبد الملك بن مروان في عدم تصديه للحركة الزبيرية في الحجاز، وراحوا يثيرون الناس على عبد الله بن الزبير رضي الله عنه مصورين بخله وادعاءه الزهد، وأذاعوا بين الناس أنه غير قادر على القيام بأمر المسلمين كما في قول أعشى بن ربيعة (نحو ١٠٠هـ)^(١٧) الذي يستثير الأمويين للقضاء المبرم على الزبيريين:

عَجَلَ النَّاجُ بِحَمَلِهَا فَأَحَالَهَا	آلُ الزُّبَيْرِ مِنَ الْخِلَافَةِ كَالَّتِي
مَا لَا تُطِيقُ فَضَيَّعَتْ أَحْمَالَهَا	أَوْ كَالضَّعَافِ مِنَ الْحُمُولَةِ حُمَلَتْ
كَمْ لِلتُّغَاوَةِ أَطْلُتُمْ إِمَّهَالَهَا	قُومُوا إِلَيْهِمْ لَا تَنَامُوا عَنْهُمْ
مَا زِلْتُمْ أَرْكَانَهَا وَثِمَالَهَا ^(١٨)	إِنَّ الْخِلَافَةَ فِيكُمْ لَا فِيهِمْ

وبعد عبید الله بن قیس الرقیات (٨٥هـ)^(١٩) من أهم شعراء الحزب الزبيري، بل الشاعر الرسمي الأول الذي حمل مبادئ الحزب وأذاع أفكاره وتوجهاته" ولكن

^(١٧) أعشى بن ربيعة عبد الله بن خارجة بن حبيب بن قيس، شاعر إسلامي سكن الكوفة، وكان مرواني المذهب شديد التعصب لبني أمية، مكث من هجاء العلويين والزبيريين والخوارج، قيل توفي سنة مائة للهجرة (١٠٠هـ).

انظره في : الأغاني : ١٨ / ١٣٢ : المؤلف والمختلف : ١٢ : سمط الآلي : ٩٠٦ : الأعلام : ٤ / ٨٤.

^(١٨) شعر أعشى بن ربيعة ، ضمن كتاب الصبح المنير في شعر أبي بصير ميمون بن قيس بن جندل الأعشى، والأعشى الآخرين، ط ٢ مكتبة ابن قتيبة، الكويت ١٩٩٣م؛ مصورة عن ط. أدولف هلزهرسن، ١٩٢٧م : ص ٢٨١؛ وأبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ط ساسي : ١٦ / ١٦٣، ط دار لشعب : ٦٩١٢؛ ط دار الكتب : ١٨ / ١٣٤ .

^(١٩) عبید الله بن قیس الرقیات لقب بالرقیات لأنه تزوج غیر امرأة تسمى رقية، وقيل إن الرقیات جداته، شاعر قریش فی الإسلام، ذو هوی زبیری معروف قاتل فی صفوف مصعب بن الزبیر ضد عبد الملك، وهرب بعد مقتل مصعب حتى عاد بعبد الله بن جعفر بن أبي طالب فبلغه الأمن من عبد الملك. توفي سنة خمس وثمانين للهجرة (٨٥هـ).

انظره في : طبقات فحول الشعراء : ٦٨٢ : الشعر والشعراء : ٢١٢ : الموشح : ١٨٦ : وفيات الأعيان : ٨٨ / ٣.

معانيه لا تخرج عن الانتصار لقريش، والتفجع على ما أصابها من تفرق، والتهديد بالعداء المسلح ضد بني أمية ^(٢٠).

وقد بلغت ثورة ابن قيس الرقيات على بني أمية قمته بعد وقعة الحرّة (٦٣ هـ) التي قتل فيها الأمويون عدداً كبيراً من أهل المدينة وفيهم ثمانون من أصحاب رسول الله ﷺ ، ومن بين هؤلاء القتلى كانت جماعة من أقرباء عبيد الله وقد رثاهم بأبيات نسبها بعض الرواة خطأ لابن قيس الرقيات على أنها في مدح عبد الملك بن مروان ^(٢١)، والصحيح أنها في رثاء بعض أقاربه يوم " الحرّة " يقول في بعضها :

إِنَّ الْحَوَادِثَ بِالْمَدِينَةِ قَدْ	أَوْجَعَتْنِي وَقَرَعَنَ مَرَوْتِيَةَ
وَأَتَى كِتَابُ مَنْ يَزِيدَ وَقَدْ	شَدَّ الْجَزَامُ بِسَرَجِ بَعْلَتِيَةَ
يَسْتَعِي بَنِي عَبْدِ إِخْوَتَهُمْ	حَلَّ الْهَلَاكُ عَلَى أَقَارِبِيَةَ
وَنَعَى أَسَامَةَ لِي وَإِخْوَتَهُ	فَظَلَلْتُ مَسْتَكَاً مَسَامِيْعِيَةَ
تَبْكِي لَهُمْ أَسْمَاءُ مُتَوَلِّةٌ	وَتَقُولُ لَيْلَى وَارَزِيَّتِيَةَ
وَاللَّهُ أَبْرَحُ فِي مُقَدَّمَةٍ	أَهْدِي الْجُيُوشَ عَلَيَّا شِكِّيَةَ
حَتَّى أَفْجَتْهُمْ بِإِخْوَتِهِمْ	وَأَسُوقَ نِسْوَتَهُمْ يَنْسَوْتِيَةَ ^(٢٢)

ولا يخفى ما في هذه الأبيات من تفجع وحسرة وألم على فقد الأقارب والأحباب، كما يقع في هذه الأبيات قدر كبير من الحقد البادي على دولة بني أمية،

^(٢٠) د. محمد مصطفى هدارة ، الشعر العربي من الجاهلية حتى نهاية القرن الأول الهجري ، النشأة والتطور، ص ٩٦ .

^(٢١) راجع هذا الخلط في وجهة القصيدة، ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ٥٢٥/١، وأبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، عيسى الحلبي، ١٩٥٢م، ص ٤٥٠.

^(٢٢) ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم، ط. دار صادر، دار بيروت ١٩٥٨م : ص ٩٨ - ١٠٠ : وشعر ابن قيس الرقيات، بين السياسة والغزل، تحقيق ودراسة د. إبراهيم عبد الرحمن محمد ، الشركة المصرية العالمية للنشر (لونج مان)، ط ١، ١٩٩٦م، ص ٢٥٧، ٢٥٨.

والعاطفة متفجرة حزناً وأسى، مما جعلها سهلة الألفاظ قريبة إلى النفس ، إلى حد جعل طه حسين يزعم أن الشاعر لم يصنعها إلا للنائحات^(٢٣).

إننا لا نتفق مع طه حسين في أنها صنعت للنائحات إما في هذا اللفظ من تهكم وسخرية، ولكن أتصور أن التعبير الأقرب إلى الصحة أن هذه الأبيات قد صدرت عن نفس نائحة لرجل شديد المصاب جياش العاطفة، ولعل هذا هو ما دعى الشاعر إلى نظم أبياته على هذه الصورة لا من " العبث اللفظي " كما وصفها طه حسين ، بل في صورة جيشان عاطفي وبساطة لفظية تناسب جلال الموقف وعظم المصاب، كما أن الشاعر يريد أن يؤكد هويته القرشية بل هوية الحزب الزبيري، ويثبت ذلك نهاية الأبيات بهاء السكت، وهي على هذه الصورة لغة معروفة لقريش^(٢٤) وكأنه - بذلك - يريد التأكيد على قرشيته وقرشية الزبيريين.

ومهما يكن من أمر فإن الصراع الذي استمر تسع سنين بين عبد الله بن الزبير وبني أمية والمروانيين قد انتهى بهزيمة الحزب الزبيري، والذي كان منافساً خطراً لسلطان الأمويين لاعتدادها بالقرشية والكفاءة وبالإسلام، ولتمسكها بأرض الحجاز ومحاولتها استعادة العاصمة القديمة للدولة وما كان لها من سيادة ولاعتصامها بالحرم ولياذاها به، ورفضها الخروج عنه إلى الشام^(٢٥).

والحقيقة أن الحزب الزبيري كان يمثل مشكلة كبرى لدولة بني أمية على الرغم من أن حججه التي كان يطالب على أساسها بالخلافة لم تكن أقوى كثيراً مما استند عليه الأمويون، ويعبر النابغة الشيباني^(٢٦) - شاعر بني أمية - عن الفرحة الغامرة

^(٢٣) راجع د. طه حسين ، حديث الأربعاء ، دار المعارف بمصر، ط ١٢ ، ١ / ٢٥٦ .

^(٢٤) راجع ابن عبد ربه، العقد الفريد، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٨ م. ٤ / ٥٠٠ .

^(٢٥) د. النعمان القاضي ، الفرق الإسلامية في الشعر الأموي ، ص ٤٩١ .

^(٢٦) النابغة الشيباني عبد الله بن المخارق بن سلمان شاعر بدوي. نصراني على الأغلب. عاش في الفرات الأدنى عصر بني أمية ومدح كثيراً من خلفائهم، توفي سنة سبع وعشرين ومائة للهجرة (١٢٢ هـ).

انظر د. في: الأغاني : ١٠٦ / ٧ : المؤلف والمختلف : ١٩٢ : سمط الآلي : ٩٠١ : الأعلام : ١٣٦ / ٤ .

بعد تخلصهم من عبد الله بن الزبير رضي الله عنه وحزبه، مشيراً إلى حق عبد الملك في وراثة الخلافة، يقول:

أزحمت عناً آل الزبير ولو	كان إمام سواك ما صلحوا
آل أبي العاص آل مأثرة	غر عتاق بالخير قد نفحوا
خير قریش وهُم أفاضلها	في الجد جد وإن هُم مزحوا
أما قریش فانت وارثها	تكف من شغبهم إذا طمحو ^(٣٧)

^(٣٧) ديوان نابغة شيبان ط ٣ دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ٢٠٠٠ م : ص ١٠٧. وانظر أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني (سأسى) : ١٠٦/٧ : ودار الشعب : ٢٥٤٧ : ودار الكتب : ١٠٧. ورواية عجز البيت الأول في الأغاني : كانوا هُم المالكين ما صلحوا، ورواية عجز البيت الرابع فيه : من صغبهم، ورواية صدر البيت الثاني في الديوان : وآل أبي العاص، والواو الأولى تخرج الشطر لاعت بحر المنسرح وتكسر الوزن.

٣

الشيعة

وإذا انتقلنا إلى المذهب الشيعي يجدر بنا في البداية أن نفرر أهمية هذا المذهب بوصفه من أخطر المذاهب الإسلامية دينياً وفكرياً وسياسياً، كما تجدر الإشارة - أيضاً - إلى أنه من أهم الاتجاهات التي كان لها أساس نظري تعتمد عليه ، وليس الأصل هنا أن نتفق معهم أو نختلف ولكن يبقى أنهم أعملوا الفكر وأجالوا العقل في المسائل التي اعتقدوها، كما أنهم - إلى جانب غيرهم من الفرق - يثبتون أن العقل العربي قد نال قسطاً ضخماً من حرية التفكير مما يثبت التنوير الذي ساد ذلك العصر.

ليس من شك في أن الشيعة فرق إسلامية باستثناء السبئية الذين ألهموا "علياً" ونحوهم ، ولا شك أيضاً في أنها في كل ما تقول تتعلق بنصوص قرآنية أو أحاديث منسوبة إلى النبي ﷺ ، بعضها صحيح وبعضها الآخر وضعوه لتأييد أفكارهم وتقوية معتقداتهم، ولكن مع ذلك اشتملت آراؤها على أفكار فلسفية وأرجعها علماء العراق والغرب إلى مصادرها من المذاهب الفلسفية والدينية السابقة على الإسلام، والحضارة الفارسية التي انتهت بظهور الإسلام:

١. فبعض علماء الغرب يقررون أن أصل (المذهب الشيعي) نزعة فارسية، وقد نبع هذا من أن العرب كانوا يدينون بالحرية، والفرس يدينون بالملك والوراثة في البيت المالک، ولا يعرفون معنى الانتخاب للخليفة، بل كان كسرى فارس يورث أبناءه الملك ، وقد انتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى ولم يترك ولداً، فأولى الناس بعده ابن عمه علي بن أبي طالب ؑ - كما يرون - فمن أخذ الخلافة كأبي بكر وعمر وعثمان ؓ ؛ فقد اغتصب الخلافة من مستحقيها، وقالوا إن طاعة الإمام واجبة، وطاعته طاعة الله سبحانه وتعالى لأن الفرس كانوا يُقدسون رئيسهم.

٢. وقد ذهب بعضهم إلى أن فرق الشيعة أخذت من اليهودية أكثر مما أخذت من غيرها واستدلوا على هذا بأن أول من أظهر الدعوة إلى تقديس "علي ؑ" كان يهودياً وهو عبد الله بن سبأ ومع هذا فقد كان المذهب الشيعي مباءة للعقائد الآسيوية القديمة كالبوذية وغيرها^(١).

^(١) راجع محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية دار الفكر العربي ، د.ت. ص ٣٧.

٣. ويمكن لنا أن نسلم بهذين الرأيين وإن كنا نعلي من شأن التأثير اليهودي، فعلى الرغم من وجوده فقد تأثر الشيعة بالأفكار الفارسية حول الملك والوراثة وقد كان الشيعة الأولون من فارس، بل إن الفارسيين إلى الآن - إيران - ما زالوا من الشيعة، وليس يخفى كذلك ما بين فرق الشيعة والديانة اليهودية من تشابه، إذ إنهم يدعون أن بعض أنبيائهم لم يزلوا أحياء.

وهذا الحزب العلوي الذي تشعبت فِرَقُه بعد هذا إلى أحزاب شيعية متعددة فإن تاريخ شعره يرجع إلى ما قبل ظهور الشيعة حزباً له أفكاره ومعتقداته بسنوات طويلة، فقد عبر هذا الشعر أول الأمر عن العواطف المطلقة التي أحاطت ببني هاشم وبشخصية علي بن أبي طالب ؑ منذ وفاة الرسول ﷺ، " وبعد مقتل عمر ؓ ظهر في مجلس الشورى ما يمكن أن يسمى بنواة الحزب الشيعي إذ رأى بعض الصحابة أن الأمر لا يجب أن ينصرف عن بني هاشم ".^(١)

ولما انصرف المتشاورون متفقين على تولية عثمان بن عفان ؓ دون علي ابن أبي طالب ؓ تردد شعر لبعض أبناء أبي لهب يعلنون فيه صراحة أسفهم على ضياع الخلافة من بني هاشم ومن علي ؓ تحديداً، لأنه - عندهم - رهط النبي ﷺ، إضافة إلى سَبِّهه إلى الإسلام وما عُرف عنه من تعبد وفقه وتقوى:

ما كنتُ أحسبُ أنْ الأمرُ مُنْصَرِفُ عن هاشمٍ ثم منها عن أبي الحَسَنِ
أليسَ أوَّلَ مَنْ صَلَّى لِقَبْلَتِكُمْ وأَعْلَمَ النَّاسَ بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَنِ^(٢)

واستمرت الحال على هذا مما قتل الثوار عثمان ؓ، وتولى علي ؓ الخلافة، ومن ثم زج بعلي ؓ زجاً في معمة تلك الفتنة بتوجيه من الأمويين، حتى دفع ذلك الصحابي الجليل حسان بن ثابت^(٤) إلى أن يقول :

(١) النعمان القاضي ، الفرق الإسلامية في الشعر الأموي، ص ٣٢٣.

(٢) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، القاهرة ١٣٢٩هـ، ٧/٦

(٣) حسان بن ثابت الأنصاري ؓ وأرضاه ، شاعر الرسول ﷺ الذي وكل إليه النبي الكريم الدود عن المسلمين في مواجهة شعراء قريش ، وقال فيه حديثه الشهير : "أهجهم وروح القدس معك". ثوفي سنة أربع وخمسين للهجرة.

انظره في : طبقات فحول الشعراء: ٢١٥: الشعر والشعراء: ٣١٢: الاستيعاب: ٣/١: أسدُ الغابة: ٤/٢: الإصابة في تمييز الصحابة: ٣٢٦/١.

يا ليت شعري وَلَيْتَ الطَّيْرُ تُخْبِرُنِي ما كان شَأْنُ عَلِيٍّ وابنِ عَفَّانَا
لَتَسْمَعَنَّ وَشَيْكاً في دِيَارِهِمْ الله أكبرُ يا تَارَاتِ عُثْمَانَا^(٥)

وعلى هذا النحو بدأت الإشارة بأصابع الاتهام تقصد علياً عليه السلام، ففي نظرهم أنه سهل للثوار مقتل عثمان عليه السلام ومن ناحية أخرى أهمل وتقاعس عن الأخذ بثأره، فتوالت الاتهامات في مقابل دفاع العلويين عن خليفة المسلمين الذي لا ذنب له فيما يُثار حوله من الإشاعات المغرضة، واستمرت الحال على هذه الشاكلة حتى استشهد الإمام على كرم الله وجهه.

ومن ثم استند الحزب العلوي إلى حق علي بن أبي طالب عليه السلام - وأولاده من بعده - في الخلافة إرثاً عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وساق العلويون أحاديث في هذا المعنى.

ومن ثم كان رثاء الشعراء العلويين رثاء حاراً لعلي عليه السلام، ويحمل اتهاماً صريحاً لمعاوية عليه السلام وأنصاره على أنهم هم الذين حرصوا على قتل علي عليه السلام، وفي ذلك يقول أبو الأسود الدؤلي (٦٩هـ)^(٦).

ألا يا عين ويحك فاسعدينا ألا تبكي أمير المؤمنين
وكنّا قبل مقتلِهِ بخيرٍ نرى مولى رسولِ الله فينا
أفي شهرِ الصَّيَّامِ فجعتُمونا بخيرِ الناسِ طرّاً أجمعينا
فلا تشمتَ معاويةَ بنَ صخرٍ فإنَّ بقيّةَ الخلفاء فينا
وأجمعنا الإمارةَ عن تراضٍ إلى ابنِ نبيِّنا وإلى أخينا

^(٥) ديوان حسان بن ثابت الأنصاري عليه السلام، تحقيق وليد عرفات، ط دار صادر، بيروت ١٩٧٤م: ٩٦/١؛
وديوان حسان بن ثابت، تحقيق سيد حنفي حسنين، ط دار المعارف، القاهرة ١٩٨٣م: ص ٢١٦؛
وانظر المسعودي، مروج الذهب: ٣٥٦/٢.

^(٦) أبو الأسود الدؤلي، ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي الكناني، صاحب علي بن أبي طالب عليه السلام، كان معدوداً في الفقهاء والأعيان والأمراء والفرسان، وهو أول من وضع علم النحو أخذه عن علي عليه السلام. تُوفي سنة تسع وستين للهجرة (٦٩هـ).

انظره في: الشعر والشعراء: ٤٥٧؛ شعراء الشيعة: ٢٧؛ معجم الأدباء: ٢٢٤/١؛ وفيات الأعيان: ٢/ ٥٣٥.

ولا نُعْطِي زَمَانِ الْأَمْرِ فِينَا سِوَاهُ الدَّهْرِ آخِرَ مَا بَقِينَا^(٧)

وكان موت الحسن بن علي ؑ (٤٠هـ) سبباً في فتح باب واسع لثناء الشيعة إياه، خصوصاً بعدما تردد أنه مات مسموماً بيد زوجته ابنة جعدة الأشعث بن قيس بتدبير من معاوية، وكان الشيعة ينتظرون موت معاوية أولاً فأصابهم موت الحسن بصدمة، ويصرح محمد بن الحنفية^(٨) في أبيات له بموت أخيه مسموماً:

أَذْهِنُ رَأْسِي أَمْ تَطِيبُ مَجَالِسِي	وَحَدُّكَ مَغْفُورٌ وَأَنْتَ سَلِيبُ
أَشْرَبُ مَاءَ الْمَزْنِ مِنْ غَيْرِ مَائِهِ	وَقَدْ ضَمَنْ الْأَحْشَاءَ مِنْكَ لَهَيْبُ
سَأُبْكِيكَ مَا نَاحَتْ حَمَامَةٌ أَيْكَةً	وَمَا اخْضَرَّ فِي دَوْحِ الْجَجَارِ قَضِيبُ
غَرِيبٌ وَأَكْنَفُ الْجَجَارِ تَحُوطُهُ	أَلَا كُلُّ مَنْ تَحْتَ التُّرَابِ غَرِيبُ ^(٩)

وبهذه الميثة الغامضة للحسن ؑ فتح - بعد مقتل علي ؑ - باب جديد للثناء العاطفي الحار في شعر الشيعة، ثم أصبح الحسين بن علي ؑ زعيماً للشيعة فلم يلبث طويلاً حتى قُتل، ومعه بعض أهله وخلصائه في كربلاء (٦١هـ) على أيدي عملاء بني أمية، فأضاف ذلك إلى شعر الشيعة عنصراً مأسوياً جديداً، أخذ يتعمق بسقوط زعماء آخرين بعد ذلك مثل زيد بن علي بن الحسن ؑ (١٢٢هـ) ويحيى بن زيد (١٢٥هـ).

^(٧) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، الحلبي، القاهرة ١٣٦٥هـ، ص ٤٣، ٤٤، وقد نسبت هذه الأبيات إلى ابنته أم الهيثم. راجع ديوان أبي الأسود الدؤلي، تحقيق عبد الكريم الدجيلي، بغداد ١٣٧٣هـ، ص ١٧٤، ١٧٥، وديوان أبي الأسود الدؤلي بتحقيق محمد حمد آل ياسين، ط ٣، بيروت ١٩٧٤م: ص ٧١، ٧٢. وراجع الأغاني ساسي: ١٧/١١؛ ودار الكتب: ٣٢٩/١٢.

^(٨) محمد بن الحنفية أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب ؑ: أمه خولة بنت جعفر الحنفية، تزوجها علي بن أبي طالب ؑ بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها وأرضاها. كان المختار الثقفي يدعو الناس إلى إمامته، والكيسانية تنتظر رجعه. ويرون أنه أوصى لولد العباس من بعده. توفي نحو سنة إحدى وثمانين للهجرة (٨١هـ).

انظره في: وفيات الأعيان: ٤٤٩/١؛ طبقات ابن سعد: ٦٦/٥؛ الأعلام: ٢٧٠/٦.

^(٩) المسعودي. مروج الذهب، ج ٣، ص ٧.

وقد أحس الشيعة بعد مقتل الحسين ﷺ عقدة الذنب وتأنيب الضمير لتقاعسهم عن حمايته، وقد مهد ذلك لقيام حركة التوايين التي قادها سليمان بن صرد (٦٥هـ) وانعكست آثارها في شعر الشيعة، ثم انقسم الشيعة إلى فرق كثير كان من بينها الكيسانية (نسبة إلى مولى اسمه كيسان وقيل إنه المختار الثقفي نفسه) التي تأثرت ببعض الأفكار السبئية الغالية. وقد اجتذبت هذه الفرقة بأفكارها المتطرفة في الحلول والتناسخ والرجعة والعلم بالباطن والغيب كثيراً من الموالي الفرس بحكم تأثرهم بالمعتقدات الفارسية القديمة، وقد استغل المختار مشاعر الموالي استغلالاً بارعاً، ووعدهم بالمساواة التامة بينهم وبين العرب في كل شيء، بل نفذ هذا الوعد مما أحفظ العرب الذين كانوا يشتركون في ثورته^(١٠).

ليس من شك في أن هذه الفرقة وغيرها من غالبية الشيعة قد قدموا لأعدائهم مطاعن كثيرة، من ذلك قول أعشى همدان^(١١)

شهدتُ عليكم أنكم سبئيةُ	وأني بكم يا شُرطة الكفر عارفُ
وأقسمُ ما كرسيكم يسكىنةُ	وإن كان قد لفت عليه اللفائفُ
وأن ليس كالتابوتِ فينا وإن سعتُ	حمام حوَاليه وفيكم زخارفُ
وإني امرؤُ أحببتُ آلَ مُحَمَّدٍ	وآثرتُ حياً ضمنتُهُ المصاحفُ ^(١٢)

فالشاعر في هذه الأبيات يجعل أتباع المختار (الكيسانية) يشبهون السبئية - أتباع عبد الله بن سبأ - الذين زعموا أن علياً ﷺ لم يقتل ولكنه صعد إلى السماء وأنه

(١٠) محمد مصطفى هدارة، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، المكتب الإسلامي، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، ص ٣٧، وراجع يوليوس فلهوزن، الخوارج والشيعة، ت. عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٨م، ص ٢١١.

(١١) أعشى همدان عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث الهمداني، من شعراء الدولة الأموية، كان من أشهر القراء الفقهاء، سكن الكوفة وشارك في الغزو أيام الحجاج، وانضم إلى ثورة ابن الأشعث. قيل إن الحجاج أمر بضرب عنقه في سنة اثنين وثمانين للهجرة (٨٢هـ).

انظره في: أسماء المغتالين لابن حبيب: ٢٥٦؛ الأغاني: ٣٦/٦، الموشح: ١٩١؛ الأعلام: ٣/٣١٢.

(١٢) شعر أعشى همدان ضمن الصبح المنير: ٣٣٤؛ وانظر الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، ط ٥، دار الجيل، بيروت ١٩٨٨م: ٢٧١/٢.

في السحاب والرعد صوته والبرق سوطه، وقد كان سبقهم زعيمهم الذي كان أول من رفض من "الرافضة" وقال عليّ رب العالمين ، فأحرقه علي وأصحابه بالنار^(١٣)؛ لذا يرميهم بالشرك صراحة، ويتهمهم على الكيسانية رافضاً كرسيتهم المقدس الذي أراد المختار الثقفي أن يكون له مثل التابوت عند اليهود، ويذمهم - أيضاً - بالحمائم التي كانت تطير حولهم ويدعي المختار أنها من الملائكة جاءت لنصرته.

ومن الأفكار الغريبة التي كانت الكيسانية تعتقدها وتدعو إليها ما زعموه من أن محمد بن الحنفية لم يمت لكنهم في انتظاره ليملاً الدنيا عدلاً^(١٤)، وفي ذلك يقول كثير بن عبد الرحمن:^(١٥)

أَلَا إِنَّ الْأَنْمَةَ مِنْ قُرَيْشٍ	وَلَاَ الْحَقَّ أَرْبَعَةُ سَوَاءُ
عَلَيَّ وَالْثَلَاثَةُ مِنْ بَنِيهِ	هُمْ الْأَسْبَاطُ لَيْسَ بِهِمْ خَفَاءُ
فَسَبَّطُ سَبَّطُ إِيْمَانٍ وَبِرٍّ	وَسَبَّطُ غَيْبَتِهِ كَرْبَلَاءُ
وَسَبَّطُ لَا تَرَاهُ الْعَيْنُ حَتَّى	يَقُودَ الْخَيْلَ يَقْدُمُهَا اللَّوَاءُ ^(١٦)

إن ما ذهب إليه الكيسانية وشاعرهم كثير بن عبد الرحمن من رجعة محمد بن الحنفية يؤكد ما ذهبت إليه في مطلع هذا المبحث عندما آثرت أن يكون الأثر الكبير الأشد وضوحاً على الفكر الشيعي هو اليهودية، ويؤكد ما ذهبت إليه - أيضاً -

(١٣) ابن قتيبة، المعارف، ص ٦٢٢.

(١٤) راجع ابن طاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، القاهرة، ١٩٤٨م، ص ٢٨.

(١٥) كثير بن عبد الرحمن الخزاعي أبو صخر أو أبو جمعة كثير عزة ، شاعر مشهور من شعراء الغزل والسياسة في العصر الأموي، اشتهر بحب عزة بنت جميل الضمرية ، وتعصب لشيعه محمد بن الحنفية (الكيسانية) ولم يمنعه ذلك من مدح الأمويين. توفي بالمدينة سنة خمس ومائة للهجرة (١٠٥هـ).

انظره في طبقات فحول الشعراء: ٤٥٠؛ الشعر والشعراء : ٥١٠، تزيين الأسواق: ٤٣/١؛ شرح شواهد المغني: ٤٤؛ معاهد التنصيص: ١٣٦/٢.

(١٦) ديوان كثير عزة ، جمعه وشرحه إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ١٩٧١م: ٥٢١ ضمن الشعر المنسوب لكثير. وهذه الأبيات متوزعة النسبة بين كثير والسيد الحميري، فنسبها أبو الفرج الأصفهاني للأول في كتاب الأغاني، دار الكتب ١٤/٩، ونسبها للثاني في الكتاب نفسه: ٢٣٨/٧، وغير ذلك كثير.

ما ارتآه فلهوزن من أن مسألة الرجعة هذه وملء الدنيا عدلاً على هذا النحو فيها
أصداء لما ورد في سفر أشعية^(١٧).

ومن شعراء الكيسانية الذين كانوا يؤمنون بالرجعة أيضاً السيد
الحميري^(١٨) ومن أبياته التي قالها تثبت الرجعة لمحمد بن الحنفية قوله :

با ابن الوصي ويا سمي محمد
لو غاب عنا عمر نوح أيقنت
وكنيه نفسي عليك تذوب
منا النفوس بأنه سيؤوب^(١٩)

وقد تلون السيد الحميري تلوناً شديداً، وقد بدأ حياته الفكرية خارجياً
إباضياً كما كان أبواه، ثم انقلب على الخوارج وتشيع لآل البيت آخذاً بالكيسانية، ثم
في مرحلة ثالثة صباً إلى رجعة الجعفرية^(٢٠).

وعلى الرغم من أن السيد الحميري كان شاعراً " شيعياً " ينتسب إلى
الكيسانية في إحدى مراحل الجعفرية في مراحل أخرى ، فإننا لا نجد يغالي في
حبه لعلي عليه السلام كما كان يغالي في حبه لمحمد بن الحنفية عليه السلام ؛ لذا وجدناه يهجو بعض
الشيعية الذين غالوا في علي عليه السلام إلى درجة التأليه:

قوم غلوا في علي لا أباهم
قالوا هو الله جل الله خالقنا
وأجشموا أنفساً في حبه تعباً
عن أن يكون ابن شيء أو يكون أباً^(٢١)

لم يقف الجدل والمحاورة العقلية لدى هذه الفرق عند هذه الحدود، لكن
هذه المحاجة قد زادت بزيادة الفرق وتشعبت بتشعب أفكارها؛ فمن فرق الشيعة
الأخرى فرقة المنصورية وهي نسبة إلى أبي منصور العجلي وقد كفرت بالقيامة

^(١٧) راجع يوليوس فلهوزن، الخوارج والشيعة، ص ٢٤٧.

^(١٨) السيد الحميري إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ شاعر مطبوع حسن النمط اشتهر
بتشيعة الشديد ، توفي سنة ثلاث وسبعين ومائة للهجرة (١٧٣هـ).

^(١٩) ديوان السيد الحميري، تحقيق شاكر هادي شكر، بيروت، مكتبة الحياة ١٩٦٦م ، ص ٩٨؛ وراجع
الشهرستاني، الملل والنحل، في آراء الكيسانية الغالية، ص ١٥٠.

^(٢٠) راجع آراء الجعفرية الغالية، السابق، ص ١٧١، ١٧٠.

^(٢١) ديوان السيد الحميري: ٨٤، وانظر أبو الحسن عبد الرحيم الخياط، الانتصار ، لجنة التأليف
والترجمة والنشر، القاهرة: ١٤٨.

والجنة والنار، والبيانية من أتباع بيان بن سمان وقد نادوا بالوهيته ، والخطابية أتباع أبي الخطاب الأسدي من الغلاة، فلما وقف جعفر الصادق على الباطل في حقه تبرأ منه، وأمر أصحابه بالبراءة منه ، وشدد القول في ذلك؛ وبالع في التبرؤ منه واللعن عليه، فلما اعتزل عنه ادعى الإمامة لنفسه، وكذلك الجناحية أتباع عبد الله بن معاوية ، ومن فرق الشيعة أيضاً فرقة المحمدية وهم من الشيعة الإمامية، وقد أطلقت عليهم هذه التسمية لانتظارهم محمد بن عبد الله بن الحسن، وكانوا يقولون برجة الأموات إلى الدنيا قبل القيامة، وفي ذلك قال شاعرهم:

إلى يوم يؤوبُ الناسُ فيه إلى دُنيَاهُمُ قَبْلَ الحِسَابِ

وقد بلغ الخلاف بين الإمامية والزيدية من الشيعة حداً كبيراً لدرجة أنهم كانوا يكفر بعضهم بعضاً، وظهر هذا الخلاف في شعرهم الذي يعبر عن حجاجهم العقلي، فشاعر الإمامية يهجو الزيدية بقوله:

يا أيها الزيدية المهملة إمامكم ذو آفةٍ مُرسلة
يا رَحَمَاتِ الجَوَّابِ لكم عِضْتُمْ فَأَخْرَجْتُمْ لَنَا جَنْدَلَه

ويرد عليهم شاعر الزيدية مشيراً إلى غياب الإمام عند فرقة الإمامية:

إمامنا مُتَّصِبٌ قَائِمٌ لا كالذي يُطلبُ بالغرْبلة
كل إمام لا يُرى جَهْرَةً ليس يُساوي عِنْدَنَا خَرْدَلَه^(٢٢)

لم يكن غريباً على هذه الفرق - بعدما رأينا من مغالاة في فكرهم - أن يتهمهم كثير من الدارسين - قديماً وحديثاً - بالزندقة، خصوصاً الرافضة الذين يقولون بأن الله ذو قد وصورة وحد ، يتحرك ويسكن ، ويدنو ويبعد، ويخف ويثقل؛ وأن علمه محدث، وأنه كان غير عالم فعلم، ثم إن جملتهم يقولون أيضاً إن الله يشاء كل فاحشة ويريد كل معصية^(٢٣)، وكان بعضهم يكفرون الصحابة أو بعضهم لتركهم بيعة

^(٢٢) راجع الشهرستاني، الملل والنحل ، ص: ١٨٦، ١٨٥، ١٨٤، ١٦٦، ١٥٥. والبغدادي ، الفرق بين الفرق، ص ٣٧، ٤٤، ١٤٥.

^(٢٣) أبو الحسن الخياط، الانتصار، ص ٥.

علي عليه السلام ويهجونهم هجاء مرأً، إضافة إلى هجائهم النبي صلى الله عليه وآله وزوجاته رضوان الله عليهم، ومن هذه الفرق: الجارودية - والسليمانية - والتبرية - والكاملية وغيرهم^(٢٤).

وليس غريباً - أيضاً - أن يُقرن الدارسون معظم هذه الفرق بالمجون إلى جانب الزندقة، ولكن عبد الرحمن بدوي يحاول تفسير ذلك بإرجاعه إلى نزعة التنوير التي نشأت نتيجة لانتشار الثقافة اليونانية، وهي نزعة تقوم دائماً على أساس تمجيد العقل وعبادته، وعلى فكرة التقدم المستمر للإنسانية الخالصة في مقابل القيم الإلهية والنبوية، وأصحاب هذا الاتجاه يطلبون الحرية غير عابئين بما سينالهم من جرائها^(٢٥).

ونحن إذا كنا نختلف مع هذه الفرق الغالية فيما أذاعته من ضلالات فإن ما يهمنا هنا تشجيع الحرية الفكرية والتنوير العقلي وما يترتب عليه من جدل مستمر وحوار فكري دائب يساعد على تنمية فكر الأمة وإعمال العقول فيها، وعلينا - في النهاية - أن نمرر ذلك كله داخل أنابيب اختبار عقلية حتى نعلم الصالح من الطالح ، ويكفي هؤلاء أنهم خطّوا هذه الخطوات الجريئة يعلنون من خلالها العقل وينشدون الحرية.

ولعل فرقة الزيدية التي تنتسب إلى زيد بن علي بن الحسين كانت من أكثر فرق الشيعة اعتدالاً في الأسس النظرية التي أقامت دعوتها على أساسها، ومن المبادئ التي اعتقدها الزيدية ما اشترطوه في الإمام أن يكون من أبناء فاطمة وأن يكون عالماً زاهداً شجاعاً سخياً، وقد أجازوا إمامة المفضل مع قيام الأفضل، وعلى هذا صححوا إمامة أبي بكر وعمر مع أن علياً عليه السلام - عندهم - أفضل منهما، وقد قال زيد في ذلك: "كان علي بن أبي طالب عليه السلام، أفضل الصحابة، إلا أن الخلافة

^(٢٤) راجع البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ٢٢ وما بعدها، والشهرستاني، الملل والنحل، ص ١٦١، ١٦٢، ١٦٤، ١٨١، والجاحظ، الحيوان، ١٦٧/١.

^(٢٥) راجع عبد الرحمن بدوي، مقدمة عن تاريخ الإلحاد في الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٤٥م.

فَوَضَّتْ إِلَى أَبِي بَكْرٍ لِمَصْلَحَةِ رَأُوهَا، وَقَاعِدَةِ دِينِيَّةِ رَاعُوهَا، مِنْ تَسْكِينِ ثَائِرَةِ الْفِتْنَةِ، وَتَطْيِيبِ قُلُوبِ الْعَامَةِ " (٢٦).

ولعل الكميّ بن زيد (١٢٦هـ) يُعَدُّ مِنْ أَهَمِّ هَؤُلَاءِ الشُّعْرَاءِ الَّذِينَ حَمَلُوا مَسْئُولِيَّةَ نَشْرِ أَفْكَارِ الْهَاشِمِيِّينَ بِصِفَةِ عَامَّةٍ وَالزُّيْدِيَّةِ بِصِفَةِ خَاصَّةٍ، وَقَدْ اِتَّهَمَهُ الْجَاحِظُ قَدِيمًا بِغَيْرِ دَلِيلٍ أَنَّهُ مِنَ الشَّيْعَةِ الْغَالِيَةِ، وَيَبْدُو أَنَّ الْجَاحِظَ رَمَى الْكَمِيّ بِذَلِكَ إِرْضَاءً لِلْعَبَّاسِيِّينَ (٢٧).

وَأَيًّا مَا كَانَ الْأَمْرُ فَإِنَّ شَعْرَ الْكَمِيّ يَتَحَدَّثُ عَنْ نَفْسِهِ مَخْبِرًا أَنَّهُ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ إِلَى فِكْرِ الزُّيْدِيَّةِ، وَيَسْتَحِيلُ أَنْ يَنْتَمِيَ إِلَى فِكْرٍ ضَدِّهَا مِنَ الْفِرْقِ، لَكِنَّا فِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَجِدَ شَعْرَهُ يَتَحَمَّلُ أَفْكَارًا لَا تَوْجِدُ فِي آرَاءِ الْفِرْقَةِ الزُّيْدِيَّةِ. وَمِنْ أَهَمِّ الْأَفْكَارِ الَّتِي اتَّفَقَ فِيهَا مَعَ الزُّيْدِيَّةِ وَنَشَرَهَا وَاضِحَةً فِي شَعْرِهِ فِكْرَةُ جَوَازِ إِمَامَةِ الْمَفْضُولِ مَعَ وَجُودِ الْأَفْضَلِ، فَلَا يَسِبُ الشَّيْخِينَ - أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ - وَإِنَّمَا يَتْرَكُهُمَا اللَّهُ يَحَاسِبُهُمَا كَيْفَ يَشَاءُ، وَهَذَا لَا يَتَعَارَضُ مَعَ حُبِّهِ لِعَلِيِّ :
أَهْوَى عَلِيًّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا أَرْضَى بِشْتَمِّ أَبِي بَكْرٍ وَلَا عُمَرَ
وَلَا أَقُولُ وَإِنْ لَمْ يُعْطِ يَا فَدَكَ بِنْتَ الرَّسُولِ وَلَا مِيرَاثَهُ كَفَرًا
اللَّهُ يَعْلَمُ مَاذَا يَأْتِيَانِ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عُذْرٍ إِذَا اعْتَذَرَا
إِنَّ الرَّسُولَ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ لَنَا إِنَّ الْوَلِيَّ عَلِيٌّ غَيْرُ مَا هَجَرَا (٢٨)

ويقرب ما بين الكميّ بن زيد وفرقة الزيدية - كذلك - ما كان يحمله شعره في الهاشميات من الشروط التي اشترطتها فرقة الزيدية في الإمام من العلم والزهد

(٢٦) الشهرستاني، الملل والنحل، ص ١٥٨، وراجع ابن قتيبة، المعارف، ص ٢١٥، ٢٢٣، ٢١٦.

(٢٧) الجاحظ، البيان والتبيين، شرح وتحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت، ٤٦/١، شوقي ضيف: التطور والتجديد في الشعر الأموي، ٢٨٩.

(٢٨) ديوان الكميّ بن زيد الأسدي، جمع وتحقيق محمد نبيل طريفي، ط ١، دار صادر بيروت ٢٠٠٠م. ص ٢٦٨؛ ديوان الكميّ بن زيد الأسدي، جمع وتحقيق داود سلوم. ط ٢. عالم الكتب، بيروت ١٩٩٧م : ٢٢٩/٢؛ وهاشميات الكميّ، تفسير أبي رياش أحمد بن إبراهيم القيسي. تحقيق داود سلوم، ونوري حمودي القيسي، ط ١. عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية. بيروت ١٩٨٤م: ص ٢٠٢، وهاشميات الكميّ، ط ليدن، ١٩٠٤: ص ١٥٠.

والشجاعة والسخاء ، والأبيات الآتية تؤكد هذا بوضوح بما لا يدع مجالاً للشك، فيقول:

الْحَمَاءُ الْكُفَاءُ فِي الْحَرْبِ إِنَّ لَفً	ضِرَاماً وَقُودُهَا يَضِرَام
وَالْعُيُوثُ الَّذِينَ إِنَّ أَمَحَلَ النَّا	سُ فَمَاوَى حَوَاضِنِ الْأَيْتَام
غَالِبِيْنَ هَاشِمِيْنَ فِي الْعِلْمِ	مِ رَبَّوْا مِنْ عَطِيَّةِ الْعِلَام
وَهُمُ الْآخِذُونَ مِنْ ثِقَةِ الْأُمَمِ	رِ يَتَّقُواهُمْ عُرَى لَا انْفِصَام ^(٢٩)

إننا إذا نظرنا إلى هذه الأبيات الأربعة وجدنا الشاعر يأتي في كل بيت منها بصفة من الصفات التي اشترطتها الزيدية في إمامهم كأنه يسجلها تسجيلاً، ناشراً ذلك المذهب ومؤيداً آراءه؛ فيتحدث في البيت الأول عن صفة الشجاعة، ويتحدث في الثاني عن الجود والكرم والسخاء، ويشير في الثالث إلى العلم، ثم يختم الأبيات بصفة التقوى.

إنما يصنعه الكميت هنا لا يقف عند حد المناصرة والتشيع وحب آل البيت، وإنما نجده يضع فكرة معينة نصب عينيه يكتب فيها هاشمياته بهدف الوصول إلى نتيجة يُقررها مسبقاً، وهو بهذا يقرر النحلة الزيدية تقريراً قوامه الجدل والاحتجاج " فهو لا يعبر فقط عن الشعور والعواطف ، وإنما يعبر أيضاً عن الفكر ، بل لعل تعبيره عن الفكر أهم من تعبيره عن العواطف. وهو من هذه الناحية يصور لنا التطور الذي أصاب العقل العربي في هذه العصور"^(٣٠).

وعلى الرغم من أن الكميت حمل شعره كثيراً من مبادئ الزيدية فإننا يمكن أن نشير هنا إلى ما لاحظته يوسف خليف من أن الكميت يخالف العقيدة الزيدية في أمرين مخالفة جوهرية؛ أولهما أن الكميت كان يؤمن بمبدأ " التقية" بل كان يمارسه عملياً وهو ليس من مبادئ الزيدية، والأمر الثاني أن الزيدية يثبتون

^(٢٩) ديوان الكميت (طريفي): ٤٨٨؛ ديوان الكميت (داود سلوم): ١٧٤/٢؛ هاشميات الكميت (سلوم والقيسي): ١٢؛ هاشميات الكميت (لیدن): ٢.

^(٣٠) شوقي صيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، ص ٢٧٦.

الإمامة في أبناء فاطمة دون غيرها، ولكن دعوة الكميت - في هاشمياته - لا تصرح بهذا ، وإنما هي دعوة عامة لآل البيت^(٣١).

وخلاصة القول في هذه المسألة أن الكميت بن زيد شاعر شيعي أحب آل البيت ودعا إلى أحقيتهم في الخلافة، وهو - في ذلك - أقرب ما يكون إلى فرقة الزيدية.

ومن ثمّ بدا ذلك كله في شعره الذي حوى ثقافة عقلية واسعة ، وتلمّح فيه استخداماً كبيراً للمنطق والتفكير العقلي، وقد أدى إلى ذلك مجموعة من العوامل تتمثل في الثقافة الواسعة التي تلقاها في منشئه الأول - الكوفة - واتصاله بالفكر الاعتزالي عن طريق صلته بإمامه زيد بن علي الذي كان تلميذاً لواصل بن عطاء ، واتصاله - كذلك - بالفقه الحنفي الذي أودع في نفسه القياس ومناقشة المسائل مناقشة عقلية^(٣٢).

ومن ثمّ لم يكن شعر الكميت إلّا شعراً مذهبياً يستعين فيه الشاعر بالتفكير العقلي المنظم لعرض ما يريد من مبادئ فرقة الشيعة والهاشميين ليصل إلى نتيجة مضمونها أن الأمويين سلبوا الخلافة من بني هاشم، ويؤكد ذلك بأدلة وبراهين في مثل قوله:

وَجَدْنَا لَكُمْ فِي آل حَامِمٍ آيَةً	تَأَوَّلَهَا مِنَّا تَقِيٌّ وَمُعَرِبٌ
وَفِي غَيْرِهَا آيَا وَآيَا تَتَابَعَتْ	لَكُمْ نَصَبٌ فِيهَا لِذِي الشَّكِّ مُنْصَبٌ
بِحَقِّكُمْ أُمْسَتْ قُرَيْشٌ تَقُودُنَا	وَبِالْفَدِّ مِثْنَهَا وَالرَّدِيفِينَ نَرْكَبُ
وَقَالُوا وَرِثْنَاهَا أَبَانَا وَأُمْنَا	وَمَا وَرِثْنَهُمْ ذَاكَ أُمٌّ وَلَا أَبٌ
يَرُونَ لَهُمْ فَضْلاً عَلَى النَّاسِ وَاجِباً	سَفَاهاً وَحَقُّ الْهَاشِمِيِّينَ أَوْجِبُ ^(٣٣)

^(٣١) راجع يوسف خليف، حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني الهجري، ص ٧٢٤، ٧٢٣.

^(٣٢) السابق، ص ٧١٢، شوقي ضيف: التطور والتجديد في الشعر الأموي ص ٢٦٨، ٢٤١.

^(٣٣) ديوان الكميت (طريفي): ٥٢١؛ ديوان الكميت (سلوم): ١٩٠/٢؛ هاشميات الكميت (سلوم، والقيسي): ٩٢؛ هاشميات الكميت (ليدن): ٣٧.

على هذا فإذا كان لابد من تقرير مبدأ الوراثة فإن الهاشميين أحق من بني أمية بذلك وهو يجلب من القرآن ما يؤيد رأيه من مثل قوله تعالى "قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى" وقوله "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا" وقوله "فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى" وقوله "وَأَنذِرْ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ"^(٣٤).

^(٣٤) سورة الإسراء . آية ٢٦ .

٤

الخوارج

وقد اقترن بظهور فرقة الشيعة فرقة أخرى وهي الخوارج في عهد علي عليه السلام، وقد ظهر الخوارج في جيش علي عليه السلام عندما اشتد القتال بين علي ومعاوية في صفين حتى رفع جيش معاوية المصاحف ليحتكموا إلى القرآن، ولكن علياً عليه السلام أصر على القتال، حتى يفصل الله بينهما فخرجت عليه جماعة من جيشه تطالبه بقبول التحكيم، فقبله مضطراً لا مختاراً، ولما اتفق مع خصومه على أن يُحكّم شخصين أحدهما من قبل علي عليه السلام والآخر من قبل معاوية عليه السلام، اختار معاوية عمرو بن العاص وأراد علي عليه السلام أن يختار عبد الله بن عباس عليه السلام ولكن الخوارج حملته على أن يختار أبا موسى الأشعري، وانتهى أمر التحكيم إلى عزل علياً عليه السلام وثبيت معاوية.

ومن العجيب أن هذه الفرقة التي فرضت على علي عليه السلام التحكيم عادت تلومه وتطلب منه أن يتوب عما ارتكب لأنه - في نظرهم - كفر بتحكيمة كما كفروا هم وتابوا، وتبعهم غيرهم من أعراب البادية.

وقد استهوت هذه الجماعة فكرة البراءة من عثمان وعلي رضي الله عنهما والحكام الظالمين من بني أمية، حتى احتلت أفهامهم واستولت على مداركهم استيلاء تاماً، فمن تبرأ من عثمان وعلي وطلحة والزبير عليه السلام والحكام الظالمين من بني أمية سلكوه في جمعهم، وتسامحوا معه في مبادئ أخرى من مبادئهم، وربما كانت أشد أثراً.

وقد كان الخوارج مخلصين لاعتقادهم إخلاصاً لم يُصادف في فرقة أخرى، لكنهم كانوا متشددين خشنين بهم هوس وتناقض لف تصرفاتهم؛ فقد رأينا أنهم قتلوا "عبد الله بن خباب عليه السلام" لأنه لم يقل إن علياً عليه السلام مشرك؛ وأبوا أن يأخذوا "تمر النصراني" بغير ثمن، وقد روى "المبرد" هذه القصة في كتابه "الكامل" فقال: "من طريف أخبارهم أنهم أصابوا مسلماً نصرانياً، فقتلوا المسلم، وأوصوا بالنصراني، وقالوا: احفظوا ذمة نبيكم. لقيهم عبد الله بن خباب عليه السلام وفي عنقه مصحف ومعه امرأته، وهي حامل، فقالوا له: إن هذا الذي في عنقك ليأمرنا أن نقتلك.. قالوا: فما تقول في أبي بكر وعمر؟ فأثنى خيراً، فقالوا: ما تقول في علي أمير المؤمنين قبل التحكيم، وفي عثمان ست سنين (أي السنين الأولى لخلافته) فأثنى خيراً، قالوا فما

تقول في الحكومة والتحكيم ؟ قال : أقول إن علياً أعلم بالله منكم . وأشد توقيماً على دينه . وأبعد بصيرة . قالوا : إنك لست تتبع الهدى إنما تتبع الرجال على أسمائها . ثم قربوه إلى شاطئ النهر فذبحوه .. وساموا رجلاً نصرانياً بنخلة فقال هي لكم . فقالوا : ما كنا لناخذها إلا بثمن . قال : ما أعجب هذا ؟ أقتلون مثل عبد الله بن خباب ولا تقبلون منا جني نخلة^(١) .

وعلى الرغم من أن الخوارج كانوا يأخذون بظاهر الآيات مما دعاهم إلى تكفير جماعة المسلمين . ولم يفرقوا في ذلك بين كل من خالفهم ولو كان هذا مجرد اختلاف في الرأي . فإنهم تفرقوا إلى فرق وجماعات متعددة : منها الأزارقة : وهم أتباع نافع بن الأزرق وكانوا أقوى فرق الخوارج شكيمة وأكثرهم عدداً . وقد ضعف أمرهم لكثرة هزائمهم من قبل الأمويين في ظل قيادة زعيم الخوارج " قطري بن الفجاءة " .

ومن مبادئهم أن مخالفهم مشركون ويحل قتلهم . ودارهم دار حرب يُستباح فيها ما يباح في دور المشركين ، ولم يقرؤا حد الرجم لأنهم لم يجدوه في القرآن . وحد القذف عندهم لا يقع إلا عند سب المحصنات أخذاً بظاهر الآية :
" والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء " ، وفي الوقت الذي يكفرون فيه مرتكب الكبيرة يرون أن الأنبياء يرتكبون الكبائر والصغائر ، وهذا - لا ريب - تناقض واضح .

ومن هذه الفرق النجدات وهم أتباع نجدة بن عويمر . وقد خالفوا الأزارقة في أمور منها استحلال قتل الأطفال الذي كان يؤمن به الأزارقة لأنهم عند النجدات لا يؤخذون بذنوب آبائهم ، ومنها أنهم يستحلون دماء أهل الذمة الذين يعيشون مع مخالفهم فيجري عليهم ما يجري على من يعيشون معهم وهذا يخالف رأي الأزارقة ، وقد أخذ النجدات بمبدأ التقية بأن يُظهر الخارجي أنه جماعي حقناً لدمه ، وهذا المبدأ غريب على فرق الخوارج جميعاً .

(١) المبرد ، الكامل ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، ١٩٨١ م ،

ومن هذه الفرق أيضاً الصفرية وهم أتباع زياد بن الأصفر وهذه الفرقة لا ترى إباحة دماء المسلمين ، ولا ترى أن دار المخالفين دار حرب ، ولا ترى جواز سبي النساء والذرية، بل لا ترى قتال أحد غير معسكر السلطان.

ومن فرق الخوارج أيضاً العجاردة نسبة إلى عبدالكريم بن عجرد، وقد انقسمت هذه الفرقة جماعات كثيرة على أساس خلافات جزئية ومنها الإباضية نسبة إلى عبد الله بن إباح وهم أكثر الخوارج اعتدالاً وأقربهم إلى الجماعة، ولهم آراء فقهية معتدلة، ومن آرائهم أن المخالفين ليسوا مشركين وإنما هم كفار نعمة وليسوا كفار اعتقاد ودمائهم حرام ودارهم ليست دار حرب، وتجاوز عندهم شهادة المخالفين ومناكحتهم والتوارث بينهم وبين الخوارج ثابت^(١).

وإذا كانت فرق الخوارج التي أشرنا إليها لم تخرج عن جوهر الإسلام فإن ثمة فرقاً أخرى تخرجها الجماعة عن طائفة المسلمين وقد حصرها "عبد القاهر البغدادي" في كتابه "الفرق بين الفرق" في فرقتين هما:

أ - اليزيدية : وهم أتباع يزيد بن أنيسة الخارجي الذي ادعى أن الله سبحانه سيبعث رسولاً من العجم ينزل عليه كتاب ينسخ "الشريعة المحمدية" وذلك بلا شك رأي فارسي، إذ الفرس هم الذين كانوا يحنون إلى نبي من قومهم.

ب - الميمونية : نسبة إلى ميمون العجرجي ، أباحوا نكاح بنات الأولاد وبنات أولاد الأخوة والأخوات، وتلك أيضاً آراء فارسية، واحتجوا في ذلك بأن القرآن لم يذكرهن من المحرمات.

ولعل هذه المؤثرات الفارسية المشار إليها تدحض ما ذهب إليه أحمد أمين من أن أفكارهم المذهبية ساذجة ، لأن ثقافتهم كانت - بحكم غلبة البداوة عليهم - ثقافة عربية خالصة لا أثر فيها للثقافة اليونانية كما تجدها عند المعتزلة، ولا الثقافة الفارسية كما هي الحال عند فرق الشيعة^(٢).

(٢) راجع محمد أبو زهرة ، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، ص ٦٧ : ٧٨ ، والشهرستاني، الملل والنحل، ص ١٥٨، ١٢٣، وابن قتيبة، المعارف، ص ٦٢٢ وما بعدها.

(٣) راجع أحمد أمين ، ضحى الإسلام، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٩ م ، ٣/ ٣٤٤.

وعلى الرغم من أن هذه الثقافات الأجنبية - الفارسية خصوصاً - لم يتأثر بها الخوارج تأثر الشيعة، فإنها قد أورثت بعض فقهاء الخوارج صبغة عقلية، فدفع بعضهم إلى التفكير في الدين تفكيراً حراً كما يذهب أحد الدارسين الذي يعتقد وجود وجه شبه بين من ينكر آيات اللعن في القرآن من المعتزلة وبعض الخوارج الذي ينكرون سورة "يوسف" من القرآن لأنها قصة غرام^(٤).

والخوارج في ذلك الخلاف الشديد كانوا يتصفون بمجموعة من الصفات؛ منها أنهم كانوا يتمسكون بظاهر النص القرآني ويدافعون عنه دفاعاً شديداً ويجادلون عن مذاهبهم ملتقطين الحجج من خصومهم، معتمدين - في ذلك - على ما عرفوا به من فصاحة اللسان وعلمهم بطرق التفسير البياني. وهم في ذلك يؤثرون الجدل والمناقشة، يساعدهم ذكاؤهم الشديد وبديهتهم الحاضرة ونفوسهم المتوثبة، فلا يسلمون بحجة خصومهم بسهولة، ويرجع ذلك إلى تَشَرُّب نفوسهم بمعتقداتهم الفكرية، كما يمكن أن يُعزى ذلك أيضاً إلى بداوة نفوسهم.^(٥)

أما بالنسبة لشعر هذه الفرق المنسوبة إلى الخوارج فكانت بداية شعرهم المعبر عن اتجاههم السياسي ومذهبهم، في أعقاب موقعة النهروان (٣٨هـ) التي قُتل فيها معظم رؤوس الخارجين وفيهم إمامهم، وقد ولد ذلك سخطاً شديداً بينهم. كان من نتائجه قتل علي بن أبي طالب عليه السلام.

والخوارج - نتيجة اعتقاداتهم - يختلفون مع جميع الفرق الأخرى ومع جماعة المسلمين، وتتمثل عقيدة الخارجي في هذا الحوار الشعري الذي دار بين قطري بن الفجاءة^(٦) وسميرة بن الجعد^(٧) لما بعث قطري بأبيات لصاحبه سميرة حين أصبح جليساً للحجاج يقول فيها:

^(٤) راجع: إجناس جولدتسهير، العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة محمد يوسف موسى وآخرين، دار الكاتب المصري، ١٩٤٦م، ص ١٧٣.

^(٥) راجع محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، ٦٩: ٧٢.

^(٦) قطري بن الفجاءة أبو محمد. أبونعامة جعونة بن مازن. لُقِبَ قطرياً نسبة إلى موضع بين البحرين وعمان. ولقب ابن الفجاءة لأنه قدم أهله من اليمن فجأة. كان من قادة الخوارج الأزارقة=

لشأن ما بين ابن جعد وبيننا
نجد فرسان المهلب، كلنا
وراح ابن جعد الخير نحو أميره
ألم تر أن الموت لاشك نازل
فان الذي قد نلت يفتي وإنما
فراجع أبا جعد ولا تك مغضياً
وئب توبة تهدي إليك شهادة
إذا نحن رُحنا في الحديد المظاهر
صبور على وقع السيوف البواتر
أمير يتقوى ربّه غير أمير
ولا بعث إلاّ للآلى في المقابر
حياتك في الدنيا كوقعة طائر
على ظلمة أعشت جميع النواظر
فإنك ذو ذنب ولست بكافر^(٨)

فالشاعر ينكر على سميرة قعوده في النعيم بعيداً عن زملائه من الخوارج
الذين لا يفارقون سلاحهم مجاهدين صابرين ، ويحاول إقناعه بعدم جدوى ركونه
إلى الحجاج بأن ذلك كله نعيم زائل لنزول الموت عاجلاً أم آجلاً، والأولى به أن
يموت في أثناء الجهاد في سبيل مبدأ اعتقده الخوارج وهو محاربة الكفار الظالمين
قبل أن يصبح واحداً منهم.

فلما تلقى سميرة خطاب قطري تحركت فيه نوازع الخارجي التي تدفعه
دفعاً إلى القتال وطلب الشهادة ؛ لأنه بجلوسه إلى جانب الحجاج أصبح عاصياً
مذنّباً، لكنه لم يصل إلى حد الكفر لأنه لم يزل ميله إلى الخوارج، ولم يكن منه إلاّ
أن ركب فرسه ولحق بالأزارقة، وكتب إلى الحجاج يخاطبه بقوله:
فمن مبلغ الحجاج أن سميرة قلى كل دين غير دين الخوارج

=وأبطالهم، شاعر خطيب بليغ خرج زمن مصعب بن الزبير فبقي عشرين سنة يُقاتل ويُسلم عليه
بالخلافة. قُتل في أيام الحجاج سنة سبع وسبعين للهجرة (٧٧هـ) على أرجح الآراء.
(٧) سميرة بن الجعد اسمه في فتوح ابن أعمش سبرة بن الجعد، شاعر من الخوارج، هو أحد القعدة من
الخوارج، لُقّب سميرة لأنه كان في سمر الحجاج بن يوسف.
انظره في : الكامل للمبرد : ٤١٢/٣؛ مروج الذهب : ٢١٦/٥؛ فتوح ابن أعمش : ٤٩/٢؛ الوافي بالوفيات :
٤٥٦/١٥.

(٨) شعر الخوارج، جمع وتحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٩٧٤م. ص ١٢٠،
ديوان الخوارج شعرهم - خطبهم - رسائلهم، جمعه وحققه نايف معروف، دار المسيرة، بيروت
ط ١، ١٩٨٣، ص ١٦٧.

رَأَى النَّاسَ إِلَّا مَنْ رَأَى مِثْلَ رَأْيِهِ
فَأَيُّ أَمْرِي يَا ابْنَ يَوْسُفَ
إِذْنٌ لِرَأَيْتِ الْحَقَّ مِنْهُ مُخَالَفًا
فِيَا لَيْتَنِي إِذْ أَمَكَّنْتَنِي فُرْصَةً
إِلَى قَطْرِي فِي الشُّرَاةِ مُعَالِجًا
إِلَى عُصْبَةِ أَمَا النَّهَارُ فَإِنَّهُمْ
وَأَمَّا إِذَا مَا اللَّيْلُ جَنَّ فَإِنَّهُمْ
مَلَاعِينَ تَرَاكِينَ قَصْدَ الْمَنَاهِجِ
ظَفَرْتُ بِهِ لَمْ يَأْتِ غَيْرَ الْوَلَانِجِ
لِدِينِكَ، إِنْ كُنْتَ أَمْرًا غَيْرَ فَالِجِ
فَتَكُنْتُ بِهِ فَتُكَّ أَمْرِي غَيْرَ نَافِجِ
وَلَسْتُ إِلَى غَيْرِ الشُّرَاةِ بِعَاجِ
هُمْ الْأَسَدُ عِنْدَ الْحَرْبِ أَسَدُ التَّهَاجِ
قِيَامُ كَأَنوَاحِ النِّسَاءِ النَّوَاشِجِ^(١)

فالشاعر لا يعتقد ديناً غير ما يعتقد الخوارج، وهم متحفزون دائماً للقتال بين صفوف قوم شروا أنفسهم في سبيل الله واشتروا آخرتهم بدنياهم، وهم لا يعرفون من الدنيا غير نهار يجاهدون فيه وليل يقومونه متجهدين، وهذا ما يؤكد عليه شاعر الخوارج عمرو بن الحصين^(١) في رثائه أبا حمزة وغيره من الشراة في قوله:

كَمْ مِنْ أَخٍ لَكَ قَدْ فُجِئَتْ بِهِ
مُتَأَوِّهَاً يَتَلَوَّ قَوَارِعَ مَنْ
ظَمَّانَ وَقَدَةَ كُلِّ هَاجِرَةٍ
تَرَاكَ مَا تَهْوَى النَفُوسُ إِذَا
قَوَامَ لَيْلِيَّتِهِ إِلَى الْفَجْرِ
أَيُّ الْكِتَابِ مُفْرَحَ الصِّدْرِ
تَرَاكَ لِذَاتِهِ عَلَى قَدْرِ
رَغْبِ النَفُوسِ دَعَا إِلَى الْمَرْزِي^(٢)

وقد قال عمرو بن الحصين هذه الأبيات ضمن قصيدة طويلة رثا فيها إمامه وشيخه أبا حمزة، حتى إن قارئ هذه القصيدة يُخيل إليه أنه يقرأ في خطبة أبي حمزة في المدينة، وهي قصيدة طويلة تبلغ ستة وخمسين بيتاً، وهذا طول نفس لا يعهد في شعر الخوارج، لأن معظم شعرهم مقطعات قصيرة، ويبدو أن ذلك يرجع إلى سمة خاصة بالشاعر غلبت على نفسه أثنه من مزاجه الفارسي الواضح في ميله إلى الاستقصاء والسرد.

^(١) ديوان الخوارج، ص ٧٠، وشعر الخوارج، ص ١٢٢، ١٢٣.

^(٢) عمرو بن الحصين شاعر خارجي، مولى لبني تميم، اشتهر بقصيدته الرائية المطولة في رثاء الشراة من أصحاب عبد الله بن يحيى الذي تسميه الخوارج "طالب الحق".

انظره في: الأغاني: ٢٣٢/٢٣: أنساب الأشراف: ٨، ٣٧٩: شرح نهج البلاغة: ٤٦١/١.

^(٣) شعر الخوارج: ٢٢٤، ٢٢٥، وديوان الخوارج: ١٤٢.

وعلى الرغم من تفرق الخوارج إلى شيع مختلفة - كما أسلفنا - فإن الخلاف بينهم لم يكن عميقاً مثل الخلاف الواقع بين فرق الشيعة ، ولا نكاد نجد تمايزاً بين شعرائهم سواء في النهج الفني للقصيدة أم الأفكار التي تدار حولها ، فكل شعرهم إنما يعبر عن الجهاد في سبيل العقيدة التي يؤمنون بها ، وتظهر في شعرهم نغمة حماسية تصور ما خاضوه من حروب، وتمجد أبطالهم وتسابقهم إلى الاستشهاد، ويفترق شعرهم عن الحماسة الجاهلية في بعده عن النزعة القبلية بعداً كاملاً، فدافع حماستهم عقيدتهم وحدها التي يظنونها العقيدة الإسلامية الصحيحة، وهم - بذلك - يميزون أنفسهم دون بقية المسلمين بأنهم شَرُّوا أنفسهم ويزعمون أن إقامتهم بين أولئك القوم خطأ كبير، وفي ذلك يقول شاعرهم معاذ بن جُوَيْن^(١٦) وهو محبوس حين هم المغيرة بنفي الخوارج من الكوفة :

ألا أيها الشَّارونَ قد حانَ لامرئٍ	شَرى نفسه لله أن يترحَّلاً
أقمتم بدارِ الخاطئين جهالةً	وكلُّ امرئٍ مِنْكُمْ يُصَادُ لِيقتلاً
فشدُّوا على القَوْمِ العُدَاةِ فَإِنَّمَا	إقامتُكُمْ للذَّبْحِ رأياً مُضَلَّلاً
ألا فاقصِدُوا يا قَوْمُ للغَايَةِ التي	إذا ذُكِرَتْ كانتَ أْبَرَّ وأَعْدَلاً
فيا ليتني فيكُمْ على ظَهْرِ سابِجٍ	شديدِ القَصِيرِ دَارِعاً غيرَ أعزلاً
ويا ليتني فيكم أعادي عدوَّكُمْ	فَيَسْقِينِي كَأْسَ المَنِيَةِ أَوْلاً ^(١٧)

على هذا النحو كان شعراء الخوارج يتمنون لقاء الموت في ميدان القتال في أثناء جهادهم المقدس ضد الضالين دفاعاً عن مبادئهم التي يعتقدونها ، وهذه المشاعر المتفجرة في نقوس الخوارج جعلتهم يحسون دائماً بتفاهة الحياة ودنو الموت منهم ؛ لذا وجدناهم في شعرهم يعرضون عن الحياة وتسود لديهم نزعة من

(١٦) معاذ بن جوين بن حُصَيْن السُّبَيْي. شاعر إسلامي من شعراء الخوارج، كان من الخوارج الذين عفا عنهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ثم خرج ثانية فحبسه المغيرة سنة ثلاث وخمسين للهجرة (٥٣هـ). قتل سنة ثمان وخمسين للهجرة (٥٨هـ) حينما خرج إلى بانقيا.

انظره في تاريخ الطبري: ١٨٧/٥؛ الاشتقاق: ٣٩٠؛ أنساب الأشراف: ١، ١٤٦؛ جمهرة الأنساب:

(١٧) ديوان الخوارج: ١٩٧، ١٩٨، وشعر الخوارج: ٤٥.

الزهد والتقشف . مكثرين من ذكر الموت : فلا تكاد تخلو قصيدة من شعرهم إلا وقد ورد فيها ذكر للموت، وهذا التكرار يعني أنهم يحرصون كل الحرص على نشر مبادئهم، ومعتقداتهم التي يُفسرون بها خروجهم على الجماعة، وهذا ما يبرز في الأبيات الآتية المنسوبة لعمران بن حطان^(١٤):

اقترَبَ الوعدُ والقلوبُ إلى الله	وَوَحِبُ الحَيَاةِ سَائِقُهَا
بَآتَتْ هُمُومِي تَسْرِي طَوَارِقُهَا	أَكْفُ عَيْنِي والدَّمْعُ سَائِقُهَا
مِمَّا أَتَانِي مِنَ اليَقِينِ وَلَمْ	أَكُنْ أَرَاهُ يَلْمُ طَارِقُهَا
مَنْ لَمْ يَمُتْ غَبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا	المَوْتُ كَأْسُ والمرءُ ذَائِقُهَا
مَا رَغِبَةُ النَّفْسِ فِي الحَيَاةِ وَإِنْ	عَاشَتْ قَلِيلًا فَالمَوْتُ لَاحِقُهَا
وَأَيَقَنْتُ أَنَّهَا تَعُودُ كَمَا	كَانَ يَرَاهَا بِالْأَمْسِ خَالِقُهَا
يُوشِكُ مَنْ فَرَمِنْ مَنِيَّتِهِ	فِي بَعْضِ غُرَاتِهِ يُوَافِقُهَا ^(١٥)

وعلى الرغم من ذلك فإننا نجد بعض فرق الخوارج كالصفورية تفضل القعود عن الجهاد والتقاعس عن القتال، ونرى في شعر هؤلاء بعض مظاهر إقبالهم على الدنيا ممتزجة برغبة دفينية في أن يكونوا مثل نظرائهم المقاتلين ويبدو ذلك بوضوح في شعر الطرماح بن حكيم (١٢٥هـ)^(١٦) لأنه من الخوارج الذين لم يأخذوا أنفسهم

^(١٤) عمران بن حطان أبو شهاب عمران بن حطان بن ظبيان، تابعي مشهور، وأحد رؤوس الخوارج، صار من القعدية في آخر أيامه حينما عجز عن الحرب وحضورها، فاقصر على الدعوة والتحريض بلسانه. تُوفي سنة أربع وثمانين للهجرة (٨٤هـ).

انظره في الكامل : ٣٣٠/١ : الأغاني : ١٠٨ / ١٨ : معجم الأدباء : ١٣٨/٥ : خزنة الأدب : ٣٥٥/٥ : فوات الوفيات : ٣٢/٢، ٢٠٢/٣ : الأعلام : ٧٠/٥.

^(١٥) شعر الخوارج : ١٧٠، ١٧١، وديوان الخوارج : ١٢٢.

^(١٦) الطرماح بن حكيم أبو نفر، أبو خبينة، الطرماح بن حكيم بن الحكم الطائي، نشأ بالشام ثم انتقل إلى الكوفة جندياً ثم إلى الري معلماً؛ تحول إلى مذهب الخوارج الأزارقة، ومارس التقية، ارتبط بعلاقة وثيقة بخالد بن عبد الله القسري والي الأمويين على العراق، وبالكميّ ابن زيد شاعر الهاشميين. توفي نحو سنة خمس وعشرين ومائة للهجرة (١٢٥هـ).

انظره في فحول الشعراء : ٤٦ : الفهرست : ٧٤ : الأغاني : ٤٢/١٢ : البداية والنهاية : ١٧٥/٨ : تهذيب ابن عساكر : ٥٢/٧.

بكثير من مبادئ هذه الفرق، ولعل هذا يرجع إلى ظروف الطرماع الخاصة، إذ نشأ بالشام واستوطن الكوفة وتنقل بين كرمان وقزوین وعمل مؤدباً بالري، ومن الطريف أنه مدح بعض بني أمية وكان على صلة وثيقة بالكميت شاعر الزيدية مع أنه محسوب على الخوارج، فالطرماع يركب ظهور المهالك لا دفاعاً عن الفكر الخارجي بل ليكسب بعض مال يجعله غنياً فيقول :

وإني لمُقْتَادُ جَوَادِي وَقَازِفُ	به وَبِنَفْسِي الْعَامِ إِحْدَى الْمَقَازِفِ
لَا كَسِبَ مَالاً أَوْ أَوَّلَ إِلَى غِنَى	مِنْ اللَّهِ يَكْفِينِي عُذَاتِ الْخَلَائِفِ
أَذَا الْعَرْشِ إِنْ حَانَتْ وَفَاتِي فَلَا تَكُنْ	عَلَى شَرْجَعٍ يُعَلِّي بِخُضْرِ الْمَطَارِفِ
وَلَكِنْ أَجِنُ يَوْمِي سَعِيداً بَعْصِيَّةِ	يُصَابُونَ فِي فَجٍّ مِنَ الْأَرْضِ خَائِفِ
عَصَائِبُ مِنْ شَتَّى يُؤْلَفُ بَيْنَهُمْ	هَدَى اللَّهُ نَزْلُونِ عِنْدَ الْمَوَاقِفِ ^(١٧)

تذكرنا هذه الأبيات بما جرى بين قطري بن الفجاءة وسميرة بن الجعد من تأنيب ثم توبة، لكن الطرماع هو الذي يؤنب نفسه ثم يتراجع؛ فبعد ما تهالك على أسباب الترف في الدنيا عاد ثانية إلى رشدته وتمنى أن يكون مصرعه بين فتية يجمع بينهم الهدى.

ومن بين شعراء الخوارج من كان يقعد عن القتال لا لدنيا يصيبها كما كان الطرماع، ولا خروجاً عن شريعة الخوارج، وإنما نزولاً على رغبة بناته اللاتي لا يجدن سنداً غير أبيهن، ويصور هذا الصراع النفسي شاعرهم عيسى بن فاتك الخطي^(١٨) في أبيات مفعمة بالاحساس التي تدور في جوار شعري رقيق إذ يقول :

لَقَدْ زَادَ الْحَيَاةَ إِلَى حُبًّا	بَنَاتِي إِنْهَنَ مِنَ الضَّعَافِ
مَخَافَةَ أَنْ يَسْرَيْنَ الْبُؤْسَ بَعْدِي	وَأَنْ يَشْرَبْنَ رَنْقاً غَيْرَ صَافِ

^(١٧) ديوان الطرماع ، تحقيق عزة حسن، ط ٢، دار الشرق العربي، بيروت ١٩٩٤م، ص ٢٠١، وانظر ديوان الخوارج : ٥٨، وشعر الخوارج: ٢٣٧، ٢٣٨، ورواية صدر الثالث في الديوان: فَيَارِبُ إِنْ حَانَتْ ، ورواية صدر الرابع فيه : يَوْمِي شَهِيداً وَ عُقْبَةً.

^(١٨) عيسى بن فاتك الخطي أحد بني وداعة بن مالك بن تيم اللات: من شعراء الخوارج الأزارقة، كان إذا أراد الخروج تعلق به بناته فيقيم، ثم يخرج بعد ذلك.

انظره في الكامل : ٢٥٣/٢؛ معجم الشعراء : ٢٥٨؛ أنساب الأشراف: ٦٢/٢.

وَأَنْ يَغْرَيْنَ إِنْ كُسيَ الجوّاري
وَأَنْ يَضْطَرَّهُنَّ الدَّهْرُ بَعْدِي
فَلَوْلَا ذَاكَ قَدْ سَوَّمْتُ مُهْرِي
تَقُولُ بِنَيْتِي أَوْصِ المَوَالِي
أَبَانَا مَنْ لَنَا إِنْ غَبَّتْ عَنَّا
وَصَارَ الْحَيُّ بَعْدَكَ فِي اخْتِلَافٍ^(١٩)

ومن ثم فإننا لا نعدم وجود صراع بين المثال والواقع؛ كالصراع بين القاعدين والمقاتلين وبين الزهد في الحياة والإقبال عليها ، ومع هذا يلاحظ أن شعر الخوارج بعامة شعر قليل وإنه لم ينهض تماماً بتصوير وقائعهم، كما لم يستطع أن يواكب أحداثهم مواكبة دقيقة ومفصلة وليس لذلك من سبب إلا أن الشعر لم يكن لديهم فناً ينقطعون له أو يتنافسون في تجويده، وإنما هو تعبير عن مشاعرهم في أحوال خاصة وهم في تعبيرهم هذا لا يستمدون الأحداث الجزئية والوقائع المعينة ولكنهم يستمدون ينبوعاً واحداً ومبادئ واحدة ، ويتغنون بعاطفة واحدة وينزعون إلى هدف واحد قصروا شعرهم عليه.

ولعل هذا هو ما دفع بعض الدارسين فذهبوا إلى أن شعر الخوارج لم يتناول مسائل العقيدة من حيث هي ، وذهبوا أيضاً إلى أن شعورهم الديني لم يكن شعور المفكرين المتفلسفين وإنما كان شعور أعراب سذج لم يدرسوا ويبحثوا ولم يعللوا أو يحللوا ، ويخلص بعضهم إلى نتيجة خطيرة وهي أننا لا نستطيع أن نجد في شعر الخوارج جدالاً أو دفاعاً بالحجج والبراهين بل نجد نغماً دينياً قوياً في إيمانه^(٢٠).

إننا لا يمكن أن نسلم بهذا الرأي على إطلاقه لأن شعر الخارجيين لم يكن كله على ذلك النحو - وإن غلب عليه - فلو قرأنا شعر الخوارج وجدناه يدافع عن مبادئهم التي يجادلون فيها ويدعون إليها ويدافعون عنها ، وما كان شعرهم الذي يدعون فيه إلى الجهاد والاستشهاد إلا فكراً يدعون إليه. والعيب أن نقصره على

(١٩) شعر الخوارج: ٥٧، ٥٨، وديوان الخوارج: ١٢، ١٣.

(٢٠) شعر الخوارج: ٥٧، ٥٨، وديوان الخوارج: ١٢، ١٣.

مجرد كونه شعاراً دينياً لأنه يمثل الفكرة التي يعتقدها الخوارج فعلاً؛ فهم يكفرون جميع الناس ؛ لذا يحاربونهم ساعين إلى فضل الله بأن يسكنوا الجنة ويُرَحَّضُوا عن النار، وهكذا تكون المقدمات المنطقية التي تؤدي إلى نتائج حتمية معقولة.

وعلى الرغم من أن الخوارج سمووا أنفسهم شراة باعوا روحهم من أجل الجنة -- فإننا نجدهم ينادون -- في بعض فرقهم -- بالعودة الذي اختلفوا فيه كثيراً وجادل بعضهم بعضاً، وقد بلغ ببعض فرقهم كالأزارقة أن يكفروا، ومنهم من تسامح في هذا القعود لو كان بعدر.

وقد بلغ هذا الجدل بالخوارج أن عزلوا معدان بن مالك الإيادي وعدلوا عنه إلى عبد الله بن واهب الراسبي^(٣١) زعيماً لهم لأنه - في نظرهم - بريء من القعدة في قوله:

سَلَامٌ عَلَى مَنْ بَايَعَ اللَّهَ شَارِياً وليس على الحِزْبِ المقيمِ سلامٌ^(٣٢)

ويصف العيزار بن الأخنس الطائي^(٣٣) الخوارج وينشر مبادئهم التي تدعو إلى أن الحكم لله وحده دون رأي الحَكَمَين في قوله:

يَنَادُونَ لَا حُكْمَ إِلَّا لِرَبِّنَا حَنَائِكَ فَاغْفِرْ حَوْبَنَا وَالْمَسَاوِيَا
هَمْ فَارِقُوا فِي اللَّهِ مِنْ جَارِ حُكْمِهِ وَكُلُّ عَنِ الرَّحْمَنِ أَصْبَحَ رَاضِياً
وَأَلَوْ إِلَى التَّقْوَى وَلَمْ يَتَّبِعُوا الْهَوَى فَلَا يُبْعِدَنَّ اللَّهُ مَنْ كَانَ شَارِياً^(٣٤)

^(٣١) عبد الله بن واهب (واهب) الراسبي ، من زعماء الخوارج وشعرائهم، كان ذا رأي حبيب وعبادة يبذل جهده في الاجتهاد بها، حتى تَلَفَتْ ركبته. قُتِلَ يوم النهروان.

انظره في : الأغاني: ١٦١/٤؛ فتوح ابن أعثم: ١٣٢/٤؛ البداية والنهاية: ١٣٥/٧.

^(٣٢) شعر الخوارج، ص ٣١، وديوان الخوارج، ص ١٩٩، وراجع المبرد، الكامل ١٦٤/٣.

^(٣٣) العيزار بن الأخنس الطائي شاعر خارجي شارك في يوم صفين ضد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، قتل في يوم النهروان.

انظره في : الكامل: ٤١٢/٣؛ تاريخ الطبري : ٨٩/٥؛ أنساب الأشراف: ٣٧٧/٢؛ فتوح ابن أعثم: ١٢٩/١.

^(٣٤) شعر الخوارج، ص ٣٢، ٣٣، ديوان الخوارج: ١٢٣.

وسميرة بن الجعد يُفد ما كان من أمر هذا التحكيم الجائر - في نظره ونظر الخوارج جميعاً - فعمرو بن العاص ؓ حين أخذها لمعاوية ؓ كان جائراً وكذلك كان أبو موسى الأشعري لتركها وخلعها من علي ؓ ؛ لذا يجدر أن يكون الحكم في النهاية لله ، يقول :

وأما إذا ما الليلُ جَنَّ فإنهم قيامُ كأنواحِ النساءِ النواشج
ينادون بالتحكيم لله إنهم رأوا حُكْمَ عمرو كالرياح الهوائج
وحكم ابن قيسٍ مثل ذاك فأُعْصِمُوا بحبلٍ شديد المتن ليس بناهج
ولاخير في الدنيا إذا الدينُ لم يكن صحيحاً ولم يصمدْ لقصدِ المخارج^(٢٥)

أما عبد الله بن أبي الحوساء الكلابي^(٢٦) فإنه لا يأبه بالصلب بعد موته مجيباً مهدديه بأنه لا قيمة لذلك بعد الموت، أما الموت ذاته فهو مقدر كما يخضع الكون كله لمشينة الله، وهنا دليل عقلي يُقنع به هؤلاء الحكام بأنهم لا يستحقون المهابة يقول :

ما إن أبالي إذا أرواحنا قُبِضَتْ ماذا فعلتم بأوصالٍ وأبشار
تجري المجرةُ والنُّسران عن قَدَرٍ والشمسُ والقمرُ الساري بمقدار
وقد علمتُ وخيرُ القول أنْفَعُهُ أن السعيدَ الذي ينجو من النار^(٢٧)

ومن معارك الخوارج مع الأمويين تلك المعركة التي قادها أبو بلال الخارجي بـ "آسك"، وكان على رأس أربعين من جنده فهاجمهم عبد الله بن رباح النصاري في جيش مكون من ألفين، فانبرى عيسى بن فاتك الخطي - شاعر الخوارج - مستغلاً هذه الحادثة ليأتي بدليل وحجة من القرآن الكريم كما كان

^(٢٥) ديوان الخوارج: ٧١، وشعر الخوارج: ١٢٣.

^(٢٦) عبد الله بن أبي الحوساء الكلابي شاعر إسلامي تولى أمر الخوارج بوصية من فروة بن نوفل الأشجعي، قتل سنة إحدى وأربعين للهجرة (٤١هـ).

انظره في : العقد الفريد : ٣٠٢/٣؛ أنساب الأشراف : ١٣٩/١؛ الكامل لابن الأثير : ٤١٠/٣؛ نهاية الأرب : ٣٧٤/٢٠.

^(٢٧) شعر الخوارج: ٤١، ديوان الخوارج: ١٥٨، وقد نسبها إلى فروة بن نوفل ويلاحظ بعض اختلافات في رواية عدد من الكلمات.

يصنع الكميت في هاشمياته على أن هؤلاء هو الفئة القليلة التي غلبت فئة كثيرة بإذن الله . مشيراً إلى قوله تعالى :

"كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين" (٢٨) فيقول :

ألفاً مؤمنٍ فيما زعمتم	ويهزمهم بأسك أربعوناً
كذبتهم ليس ذاك كما زعمتم	ولكن الخوارج مؤمنونا
هم الفئة القليلة غير شك	على الفئة الكثيرة يُنصرون
أطعتم أمراً جباراً عنيد	وما من طاعة للظالمين (٢٩)

وهذا هو شاعر الخوارج الآخر أبو الوازع الراسبي (٣٠) يجادل نافع بن الأزرق حاثاً إياه على استخدام السيف لا اللسان بوصفه أحد الأسس التي بنت عليها الخوارج مذهبها وفكرها يقول :

لسألك لا تنكى به القوم إنما

تنال بكفيك النجاة من الكرب

فجاهد أناساً حاربوا الله واصطبر

عسى الله أن يُجزي غوي بني حرب (٣١)

وقطري بن الفجاءة - شاعر الخوارج وزعيمهم - يجادل نفسه محاولاً إقناعها بالثبات: فإذا علمت أن أجلها آت لا محال لا يمنعه سلم ولا حرب فإن ذلك الدليل القوي يدفعها إلى الثبات في المعركة يقول:

أقول لها وقد طارت شعاعاً	من الأبطال ويحك لن تراعي
فإنك لو سألت بقاء يوم	على الأجل الذي لك لم تطاعي

(٢٨) البقرة ، آية ٢٤٩ .

(٢٩) شعر الخوارج ، ص ٥٤، ٥٥ ، ديوان الخوارج ، ص ١٥٦ .

(٣٠) أبو الوازع الراسبي من شعراء الخوارج ومجتهديهم، كان يحض أصحابه على الخروج، قبض عليه عبيد الله بن زياد وصلبه.

انظره في: الكامل: ١٧٧/٣: أنساب الأشراف: ٩٤/٢: شرح نهج البلاغة: ٤٥٤/١.

(٣١) ديوان الخوارج: ١٦ . وشعر الخوارج: ٦٩.

فصبراً في مَجَالِ الموت صبراً فما نيلُ الخلودِ بمستطاعٍ^(٣٢)

على الرغم مما قدمنا من نصوص وآراء تثبت أن شعر الخوارج قد حوى روحهم الثائرة ودفاعهم عن عقيدتهم وجدلهم الشديد في سبيل إثبات صحة مذهبهم ، فإننا نجد أحد الخوارج في الأبيات الآتية يثبت - بجدله - صحة مذهبه أيضاً ولكن في اتجاه عكس كل ما قدمنا؛ إذ يدافع هذا الشاعر عن فكرة " التقية " التي توجد بكثرة عند شعراء الشيعة في حين لا نمسك بها كثيراً في شعر الخوارج ولا حتى في أسسهم النظرية التي انطلق منها فكرهم واعتقادهم ، فقال حين شدد ابن زياد في طلب الخوارج مما اضطره إلى ترك مجالس إخوانه:

ما زال بي صَرْفُ الزمانِ وَرَيْبُهُ حتى رفضتُ مجالسَ الفتيانِ
وألفتُ أقواماً لغيرِ مودَّةٍ وهدرتُ غيرَ مفارقِ إخواني
وأفضتُ في لهوِ الحديثِ وَهَجْرِهِ بعد اعتيادِ تلاوةِ القرآنِ^(٣٣)

على ما تقدم يبرز لنا ما كان من أمر الجدل والخلاف المستمر بين الخوارج وغيرهم من الفرق الإسلامية بل ما كان بين فرق الخوارج المختلفة بعضها بعضاً، وهذا الجدل الكثير أغضب زيد بن جندب الأزرقى^(٣٤) - وهو من شعراء الخوارج - بسبب ذلك الخلاف الذي وقع بين أفراد الخوارج خصوصاً ما وقع بين قطري بن الفجاءة وفرقة، وهو خلاف كثير ومتكرر في مسائل متعددة فيقول:

قل للمُجَلِّينَ قد قَرَّتْ عيونكمُ يَفْرَقُ القومَ والبغضاءَ والهَرَبُ^(٣٥)
كنا أناساً على دينٍ ففرَّقنا فزعُ الكلامِ وخلطُ الجِدِّ باللَّعبِ
ما كان أغنى رجلاً ضلَّ سعيهمُ عن الجدالِ وأغناهمُ عن الخطبِ

^(٣٢) شعر الخوارج: ١٠٨، وديوان الخوارج: ١٦٩، ويلاحظ وجود اختلافات في الرواية.

^(٣٣) ديوان الخوارج: ٢٤٠، وشعر الخوارج: ٤٨.

^(٣٤) زيد بن جندب الأزرقى خطيب الخوارج الأزارقة وشاعرهم؛ ولولا بروز أسنانه وصفرة ثيبيها لكان - في رأي الجاحظ - أخطب العرب قاطبة.

انظر في البيان والتبيين: ٧٨/١.

^(٣٥) شعر الخوارج: ١٢٩، ١٣٠، ديوان الخوارج: ٦٦.

٥

المرجئة وبدايات المعتزلة

وبينما تشتعل هذه المذاهب كلها ، نشأت فرقة أخرى في الفكر الإسلامي هي فرقة المرجئة التي نشأت بالكوفة إلى جانب مذهب التشيع، وقد كانت هذه الفرقة صدى للخلاف بين عقائد الشيعة والخوارج وما اتسمت به كل منها من تطرف فكري ، إذ فتحت هذه الفرقة باب التوبة لمرتكبي الكبيرة بإرجاء الحكم عليهم إلى يوم القيامة على أساس المبدأ القائل بأنه لا تضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وعلى أساس الفصل بين الإيمان والعمل^(١).

والأصل في دعوة الإرجاء أنها فرقة متسامحة متساهلة، فهم لا يريدون لأنفسهم مكاناً بارزاً بين الناس بقدر ما يبحثون لأنفسهم عن مكان وسط بين هذه الطوائف المتخاصمة، ولعل هذا هو ما جعل شعر هذا المذهب قليلاً؛ لأنه لم يجد من يدافع عن مذهبه بنفس القوة والصرامة التي وجدناها عند الشيعة أو الخوارج، وقد ذهب بعض الدارسين إلى أن طبيعة الإرجاء لا تُنشئ في الأساس أدباً لهذا الموقف السلبي الذي ألزم به أصحاب هذا المذهب أنفسهم^(٢).

وعلى الرغم من ذلك فإن مذهب المرجئة وآراءه الوسطية كان لها أثر كبير في نفوس الناس وفي شعر الشعراء على السواء؛ إذ فتحت باباً واسعاً لذوي النفوس الضعيفة وللشعراء الماجنين العابثين فولجوه وعاثوا في باحته طمعاً في عفو الله تعالى وإرجاء الحساب إلى يوم القيامة، وبذلك توسطت هذه الفرقة بين الفرقتين المتشددتين ووضعت مفاهيم جديدة على عقيدة المسلم بعيداً عن صرامة الخوارج الوعيدية والشيعة الغالية.

والإرجاء مذهب مثل بقية المذاهب الفكرية التي سادت العصر الأموي، إذ تشعبت إلى فرق كثيرة، وإن كانت أقل بكثير من فرق الشيعة والخوارج التي تزيد كل واحدة منها على عشرين فرقة، أما المرجئة فهي لا تتعدى ثلاث فرق أساسية؛ فمنهم من قال بالإرجاء في الإيمان وبالقدر أيضاً متأثرين في ذلك بالمعتزلة، ومنهم من قال بالإرجاء في الإيمان وبالجبَر في الأعمال وهؤلاء هم أتباع جهم بن

(١) راجع الشهرستاني، الملل والنحل، ص ١٤٢، وابن قتيبة، المعارف، ص ٦٢٥.

(٢) راجع يوسف خليف، حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني الهجري، ص ٧٢٧، ٧٢٨.

صفوان. أما الفرقة الثالثة فهم يخرجون عن القدرية والجبرية. وهؤلاء خمس فرق: هم اليونسية والغسانية والثوبانية والتومنية والمريسية^(٣).

وأياً ما كان من الأمر فإن مذهب المرجئة أثار في وقته مناقشات ومجادلات كثيرة، خصوصاً أنهم نشأوا في الكوفة حيث نشأ الشيعة، فكان لابد من الاصطدام بهم وجدالهم لنصرة أحد المذهبين، ومما يُثبت هذا أن أحد طالبي العلم سأل إبراهيم النخعي - رحمه الله - عن الجدال الدائر بين أنصار علي وعثمان "رضى الله عنهما" . فأجابه بأنه ليس سبباً ولا مرجئاً، إضافة إلى أن الخليفة عمر بن العزيز ؓ نفسه كان يناظر القائلين بالإرجاء وينظرونه^(٤).

وهذه الانقسامات الكثيرة لفرقة المرجئة كانت نتيجة طبيعية لعناية هؤلاء بالبحث في بعض قضايا الاعتقاد، مثل الإيمان والكفر وحرية الإرادة وعلاقة ذلك كله بقضاء الله ، ومن ثم اختلفت نظرتهم إلى الأحزاب السياسية القائمة في العصر الأموي؛ إذ أبدت مرجئة الجبرية السلطة الحاكمة المتصلة في بني أمية، وهذا أوقع خلافاً شديداً بين المرجئة والشيعة على وجه الخصوص مما جعل واحداً من شعراء الروافض يتهمهم بقوله:

إذا المرجي سرُّك أن تراه يموتُ بدائه من قبل موته
فجددْ عنده ذكرى علي وصلْ على النبي وأهل بيته^(٥)

إذا كانت هذه هي حال فرقة المرجئة الجبرية فإن مرجئة القدرية تختلف عن ذلك اختلافاً كبيراً، إذ تناهض ملك بني أمية، وهؤلاء القدرية هم الذين جادلهم "عمر بن العزيز" ؓ وأقنع بعضهم بالتخلي عن ذلك الاعتقاد، ويعد "عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود"^(٦) من أهم من تركوا الإرجاء لكنه تحول إلى

^(٣) راجع ابن طاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ١٢٢، وراجع الشهرستاني، الملل والنحل، ص ١٤٢ . ١٤٨، وقد زاد فرقتين هما العبيدية والصالحية.

^(٤) راجع محمد بن سعد ، الطبقات الكبرى، م ٥، ص ٢٧.

^(٥) الجاحظ، البيان والتبيين، ٣/ ٣٥٠.

^(٦) عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود شاعر خطيب راوية نساب متعبد قارىء، سكن الكوفة واشتهر بالقراءة والعبادة فيها، كان من المرجئة ثم رجع، وخرج مع ابن الأشعث فطالبه الحجاج وأمنه

التشيع في قوله :

وأول ما نفارق غير شك^١ نفارق ما يقول المرجئون
وقالوا مؤمن من أهل جور وليس المؤمنون بجائرين
وقالوا مؤمن دمه حلال^٢ وقد حرمت دماء المؤمنين^(٣)

وفصل القول في فرقة المرجئة أن المرجئة الأصلية بقيت على حيادها لا تناصر حزباً على آخر ولا فرقة على أخرى - بعكس الجبرية والقدرية - ولا تكفر أحداً، فلا تكفر المسلم مادام موحداً بالله لا يشرك به شيئاً، وخير مثال على هذا ما قاله شاعر المرجئة " ثابت قطنة "^(٤) (١١٠هـ) :

يا هند فاستمعي لي إن سیرتنا أن نعبد الله لم نُشرك به أحداً
نُرجي الأمور إذا كانت مُشبهةً ونصدق القول فيمن جار أو عنداً
المسلمون على الإسلام كلهم^٥ والمشركون استووا في دينهم قدداً
ولا أرى أن ذنباً بالغ أحداً ما الناس شركاً إذا ما وحدوا الصمداً
لا نسفك الدّم إلا أن يُراد بنا سفك الدماء طريقاً واحداً جدداً
كل الخوارج مُخطئ في مقالته ولو تعبد فيما قال واجتهدا
أما على وعثمان فإنهما عبدان لم يُشركا بالله مُذ عبداً^(٦)

محمد بن مروان بن الحكم، توفي نحو سنة خمس عشرة ومائة للهجرة (١١٥هـ).

انظره في: جمهرة النسب للكلبي: ٢١٣/٢؛ الأغاني: ١٣٩/٩؛ البداية والنهاية: ٢٠٤/٧؛ الأعلام: ٩٨/٥.

(٣) الجاحظ، البيان والتبيين ٣٢٨/١، ٣٢٩.

(٤) ثابت قطنة أبو الدلاء ثابت بن كعب (وقيل ابن عبد الرحمن بن كعب) أخو بني أسد بن الحارث بن العتيك، وقيل مولاهم. لقب ثابت قطنة لقطنة كان يحشو بها إحدى عينيه بعد أن ذهب بها سهم في بعض خروب الترك. شاعر مجيد، كان من أصحاب يزيد بن المهلب الذي كان يوليه أعمالاً مهمة. مات في السنة العاشرة بعد المائة الأولى للهجرة (١١٠هـ).

انظره في ألقاب الشعراء: ٣٢٤؛ الشعر والشعراء: ٦٣٢؛ الأغاني: ٢٥٣/١٤؛ خزنة الأدب: ٥٧٨/٩؛ فوات الوفيات: ٢٦٩/١.

(٥) الأصفهاني، الأغاني، دار الكتاب، ٥٠/١٣، ودار الشعب، ص ٥١٣٧.

إن هذه الصورة المتسامحة بل المتساهلة التي شكل فيها المرجنة آراءهم ومبادئهم دعت إلى استهتار كثير من الناس، ووصل بعضهم إلى التفريط في الفروض الأساسية للإسلام، كتركهم الصوم والصلاة معتمدين على الرأي القائل بأن الإيمان محله القلب بغض النظر عن العمل، وقد دفع ذلك كله "نصر بن سيار"^(١٠) والي بني أمية على خراسان (١٣١هـ) أن يواجههم بقصيدة تحوي مجموعة من المآخذ التي تتعارض مع فكر أهل السنة، ومن ذلك قوله :

دَعْ عَنْكَ دُنْيَا وَأَهْلًا أَنْتَ تَارِكُهُمْ	مَا خَيْرُ دُنْيَا وَأَهْلٍ لَا يَدُومُونَ
إِلَّا لِبُضْعَةٍ أَيَّامٍ إِلَى أَجَلٍ	فَاظْلُبْ مِنْ اللَّهِ أَهْلًا لَا يَمُوتُونَ
فَاْمْنَحْ جِهَادَكَ مَنْ لَمْ يَرْجُ آخِرَةً	وَكُنْ عَدُوًّا لِقَوْمٍ لَا يَصَلُّونَا
وَأَقْتُلْ مَوَالِيَهُمْ مَنَا وَنَاصِرَهُمْ	حِينَ تَكْفُرَهُمْ وَالْعَنُتُهُمْ حِينَا
وَالْعَائِبِينَ عَلَيْنَا دِينَنَا وَهُمْ	شَرُّ الْعِبَادِ إِذَا خَابَرْتَهُمْ دِينَا
وَالْقَائِلِينَ سَبِيلُ اللَّهِ بَغْيُنَا	لَبُعد مَا نَكْبُوا عَمَا يَقُولُونَا
لَا يَبْعُدُ اللَّهُ فِي الْأَحْدَاثِ غَيْرَكُمْ	إِذْ كَانَ دِينُكُمْ بِالْشُرِكِ مَقْرُونَا
أَلْقَى بِهِ اللَّهُ رَعْبًا فِي نُحُورِكُمْ	وَاللَّهُ يَقْضِي لَنَا الْحَسَنَى وَيُعْلِينَا ^(١١)

على الرغم من قلة الشعر الناطق بلسان المرجنة فإن هذه النماذج التي قدمناها تأتي معبرة عن مجموعة من مبادئ المرجنة التي بثوها في شعرهم، وتحمل مجموعة خاصة من السمات "أهمها أنها تجول في مجال العقل الخاص، وتتوسل بالبرهنة والتدليل ولا تعدد بإثارة العاطفة والأحاسيس في التعبير عن مبادئ العقيدة وأفكارها"^(١٢).

^(١٠) نصر بن سيار الكنانى، شاعر إسلامي، كان والياً على خراسان في عهد هشام بن عبد الملك.

انظره في الأغاني: ٣٣٣/١٧؛ خزائن الأدب: ٢١٩/٢؛ فوات الوفيات: ٢٠٤/١؛ الأعلام: ٢٣/٨.

^(١١) ديوان نصر بن سيار جمع وتحقيق عبد الله الخطيب، بغداد ١٩٧٢م : ص ٧٨ . وانظر تاريخ

الطبري، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ١٩٩١م، ج ٤، ص ١٥٨.

^(١٢) النعمان القاضي، الفرق الإسلامية في الشعر الأموي، ص ٥٢٩.

وقد نشأت في هذه الآونة بين الأمواج المتلاطمة في خضم الفكر والاعتقاد فرقة أخرى هي المعتزلة ، وعلى الرغم من أنها نشأت في العصر الأموي فإنها شغلت الفكر الإسلامي وتزايدت في العصر العباسي، ويختلف العلماء في وقت ظهورها، فبعضهم يرى أنها ابتدأت في قوم من أصحاب علي ؑ اعتزلوا السياسة وانصرفوا إلى العقائد عندما نزل الحسن عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان ؓ ، وقد أشار إلى هذا أبو الحسين الطراثفي في كتابه (أهل الأهواء والبدع) وجمهور العلماء على أن رأس المعتزلة هو واصل بن عطاء ، وقد كان ممن يحضرون مجلس الحسن البصري العلمي، فثارت تلك المسألة التي شغلت الأذهان في ذلك العصر، وهي مسألة مرتكب الكبيرة وقال واصل مخالفاً الحسن بأن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن مطلقاً ولا هو كافر مطلقاً بل هو في منزلة بين المنزلتين، ثم اعتزل مجلس الحسن ، واتخذ له مجلساً آخر في المسجد.

ويرى محمد أبوزهرة في كتابه " تاريخ المذاهب " أن المذهب أقدم من "واصل" وأن كثيرين من آل البيت قد نهجوا مثل منهجه، كزيد بن علي الذي كان صديقاً لواصل، وأن " واصلاً" من أبرز الدعاة فكان عند الأكثرين رأس مذهب المعتزلة لأنه أبرز من دعا إليه .

وقد كان أصحاب فرقة المعتزلة يعتمدون - في الاستدلال لإثبات العقائد- على القضايا العقلية إلا فيما لا يُعرف إلا بالعقل، وكانت ثقتهم بالعقل ، لا يحدها إلا احترامهم لأوامر الشرع ، فكل مسألة من مسائلهم يعرضونها على العقل فما قبله أقروه وما لم يقبله رفضوه.

وقد دفعتهم هذه العناية الكبيرة بالعقل إلى النظر في أمور ميتافيزيقية كالجزء الذي لا يتجزأ، والحركة والسكون، والكمون والظهور ، والجوهر والعرض .. إلى آخره وهم - في ذلك - مرتبطون بالفلسفة اليونانية، وخصوصاً الأفلاطونية الجديدة وأرسطو والفكر السامي القديم، وقد أدى ذلك كله إلى طبع الحياة البصريّة - موطن المعتزلة - بطابع خاص، وقد ساعد على ذلك ظهور كثير من الفرق على مسرح البصرة لما غلب عليها من طابع عقلي ، ومن ثم راح البصريون يجنحون

إلى المنطق في كل ما يتناولونه ويميلون به إلى البحث والنقد والتمحيص ويأتي على رأس هؤلاء جميعاً المعتزلة ولم يفلت من إसार العقل أحد حتى الزهاد الذين نشأوا بالبصرة ، ومن أشهر هؤلاء " الحسن البصري " (١١٠ هـ) الذي كان يقول بالقدر ، وقد اتجه وجهة عقلية في حياته الروحية ، فالجميع متفلسفون يشتغلون بالقرآن والحديث وعلوم اللغة والشعر والكلام ، وكلهم لهم هذه العقلية المرتبة المنطقية ؛ لذا عني هؤلاء جميعاً بالجدل والمناظرة حيث حلوا ^(١٣) .

ولعل هذا يدعونا إلى ذكر بعض الأسباب التي دعت المعتزلة ومن لف لفهم باعتقادهم الشديد في أهمية العقل وضرورته؛ فمن هذه الأسباب:

١ - إقامتهم بالعراق وفارس حيث الثقافات الواسعة المتوارثة عن الحضارات المتركمة.

٢ - كان أكثر أصحاب مذهب المعتزلة من الموالي الذين وفدوا إلى الإسلام وبلاد المسلمين بأفكارهم واعتقاداتهم الموروثة.

٣ - اختلاطهم بكثير من اليهود والنصارى وغيرهم وكثرة آرائهم الفلسفية القديمة ونقلها إلى العربية ومن ثم سرى إليهم كثير من أفكار هؤلاء إضافة إلى بينات الفلاسفة المختلفة التي شغفوا بها.

ومهما يكن من أمر فإننا نستطيع أن نجد مبادئ المعتزلة مذكورة - في معظمها - في الشعر القليل الذي وصلنا على لسان شعراء هذه الفرقة التي عنت بالنثر أكثر من الشعر ، ومما يثبت قيمة العقل هذان البيتان المنسوبان لـ " واصل بن عطاء " ^(١٤) حيث يشقى صاحب العقل في مواجهة الجاهلين:

^(١٣) راجع أحمد كمال زكي ، الحياة الأدبية في البصرة إلى نهاية القرن الثاني الهجري ، ص ١٦١ ، ٨٢ ، ٨٨ ، ٩٧ .

^(١٤) واصل بن عطاء أبو حذيفة الغزال المعتزلي كان يجلس إلى الحسن البصري ، فلما ظهر الاختلاف وقالت الخوارج بتكفير مرتكب الكبائر ، وقالت الجماعة بأنهم مؤمنون وإن فسقوا بالكبائر ، خرج واصل عن الفريقين ، وقال : إن الفاسق من هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر ، بل هو بمنزلة بين المنزلتين . فطرده الحسن عن مجلسه ، فاعتزل عنه ، وجلس إليه عمرو بن عبيد ، فقبل لهما ولاتباعهما المعتزلة . توفي سنة إحدى وثمانية ومائة للهجرة (١٨١ هـ) .

تحامق مع الحمقى إذا ما لقيتهم

ولا تلقهم بالعقل إن كنت ذا عقل

فإن الفتى ذا العقل يشقى بعقله

كما كان قبل اليوم يشقى ذوو الجهل^(١٥)

وعلى هذا يعد العقل وخصيصة التعقيل أهم ما يميز فكر المعتزلة وشعرهم، إذ راحوا يدافعون عن سلطة العقل والاعتداد به مرجعاً أساسياً في تحسين الأشياء وتبسيطها، وهم بذلك يخالفون رأي أهل السنة الذين يقدمون النقل على العقل، ومن ثم عابت المعتزلة من لا يقدر العقل حق قدره، وراحوا يجاهدون في سبيل نشر دعوتهم وأفكارهم الجديدة كما يظهر في قصيدة "صفوان الأنصاري"^(١٦) التي يصف فيها فرقة المعتزلة وزعيمهم "واصل بن عطاء" فيقول من قصيدة طويلة:

له خلفَ شَعْبَ الصِّينِ في كل ثَغْرَةٍ	إلى سُوْسِها الأقصى وخَلْفَ البرابرِ
رجالٌ دُعَاةٌ لا يَفْلُ عَزِيمَهُم	تَهْكُمُ جَبَّارٍ ولا كَيْدُ ماكِـرٍ
إذا قال مُرُوا في الشتاء تطوَعُوا	وإن كان صيفٌ لم يُخَفْ شَهْرُ ناجِرٍ
بهجرةٍ أوطانٍ وبَذَلٍ وكُلْفَةٍ	وشدَّةٍ أخطارٍ وكَدِّ المسافرِ
تَلْقَبَ بالغَزَالِ واحدُ عصرِه	ومَن لليتامى والقبيل المكارِ
ومَن لحروريٍّ وآخرَ رافضيٍّ	وآخرَ مرجيٍّ وآخرَ جائِرٍ
وأمرٍ بمعروفٍ وإنكارٍ منكرٍ	وتحصين دين الله من كل كافرٍ
يصيبون فصل القول في كل موطنٍ	كما طبَّقَتْ في العظم مُدْيَةُ جازِرٍ
وسيماهمُ معروفةٌ في وجوههم	وفي المشي حُجَّاجاً وفوق الأباعِرِ
فتلك علاماتٌ تحيط بوصفهم	وليس جهُولُ القوم في علم خابرٍ ^(١٧)

انظره في وفيات الأعيان: ٢/٦؛ لسان الميزان: ٢١٤/٦؛ الأعلام: ١٠٨/٨.

^(١٥) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١م، ص ٥، ص ٥٦٩.

^(١٦) صفوان الأنصاري ذكره الجاحظ ولم أقف عليه في مصادري.

^(١٧) الجاحظ، البيان والتبيين، ٢/٢٥، ٢٦.

وصفوان الأنصاري هذا له شعر يمتلئ جدلاً وحواراً، من هذا ما أجاب فيه "بشار بن برد"^(١٨) لما قام بعدر إبليس في أن النار خير من الأرض^(١٩) بقصيدة طويلة يقول فيها:

زَعِمْتَ بَأْنَ النَّارِ أَكْرَمُ عُنْصَرًا	وفي الأرض تحيا بالحجارة والزُّئْدِ
وَتُخْلَقُ فِي أَرْحَامِهَا وَأَرْوَمِهَا	أَعَاجِيبُ لَا تُحْصَى بِخَطٍّ وَلَا عَقْدِ
وفي القعر من لُجِّ البحار منافعُ	من اللؤلؤ المكنون والعنبر الوردِ
كذلك سِرُّ الأرض في البحر كله	وفي الغيضة الغنَّاء والجبل الصلْدِ
ولا بدُّ من أرض لكل مُطَيِّرٍ	وكلَّ سَبُوحٍ في الغمانر من جَدِّ
كذاك وما ينساخُ في الأرض ما شيئاً	على بطنه مَشْيُ الْمُجَانِبِ لِلْقَصْدِ ^(٢٠)

وامتداداً لهذا الجدل بين المعتزلة وغيرها من الفرق نجد شاعرهم "بشر ابن المعتمر"^(٢١) يجادل الخوارج في رأيهم في علي بن أبي طالب ؑ الذي يناصبونه العداء ويكفرونه ويكفرون أتباعه، ويضع أيديهم على شرف علي ؑ وأن أحسابهم ليس فيها مثله ولا مثل أصحابه، ويهمزهم بأنهم من البدو الذين لا يرقون

^(١٨) بشار بن برد الأعمى مولى بني عقيل سيد المحدثين، شاعر مجيد مدحاً وهجاءً، اشتهر بفحشه في الهجو والتغزل، رمى بالزندقة، وقتله الخليفة المهدي سنة سبع وستين ومائة للهجرة (١٦٧هـ). انظره في الشعر والشعراء: ٤٦٧؛ طبقات الشعراء: ٢١؛ الأغاني: ١٩/٣؛ معاهد التنصيص: ٢٨٩/١. ^(١٩) يقول بشار:

إِبْلِيسُ خَيْرٌ مِنْ أَيْبِكُمْ آدَمَ	فَتَنَّبَهُوا يَا مَعْشَرَ الْفُجَّارِ
إِبْلِيسُ مِنْ نَارٍ وَأَدَمُ طِينَةٌ	وَالْأَرْضُ لَا تَسْمُو سَمَوِ النَّارِ

ويقول:

الْأَرْضُ مَظْلِمَةٌ وَالنَّارُ مُشْرِقَةٌ وَالنَّارُ مَقْبُودَةٌ مَذْكَاءُ كَانَتْ النَّارُ

ديوان بشار بن برد، شرح وتحقيق وتكميل محمد الطاهر بن عاشور ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٦م: ٧٨/٤.

^(٢٠) الجاحظ، البيان والتبيين، ٢٧/١.

^(٢١) بشر بن المعتمر الهلالي البغدادي أبو سهل، فقيه معتزلي مناظر، نشأ بالكوفة، وله مصنفات في الاعتزال منها قصيدة في أربعين ألف بيت رد فيها على جميع مخالفي الاعتزال وهو أستاذ الجاحظ، مات ببغداد في السنة العاشرة بعد المائة الثانية للهجرة (٢١٠هـ).

انظره في أمالي المرتضى: ١٣١/١؛ طبقات المعتزلة: ٥٢؛ دائرة المعارف الإسلامية: ٦٦٠/٣.

إلى الأعلام الذين يتكرونها، وقد وصلوا من الصغر والحقارة إلى مستوى لا يمكن أن يطاولوا من خلاله أولئك الأشراف ، يقول "بشر" :

ما كان في أسلافهم أبو الحسن	ولا ابن عباس ولا أهل السنن
غر مصابيح الدجى مناجب	أولئك الأعلام لا الأعارب
كمثل حرقوص ومن كحرقوص	فقعة قاع حولها قصيص
ليس من الحنظل يشتار العسل	ولا من البحور يصطاد الورل
هيهات ما ساقلة كعاليه	ما معدن الحكمة أهل البادية ^(٢٢)

ويظهر من هذه الأبيات وغيرها من شعر المعتزلة أن لديهم عاطفة مشبوبة وإحساساً صادقاً بالحب للمعتزلة والإيمان بعقيدتهم والولاء الشديد لذلك المذهب والدفاع عنه دفاعاً مستميتاً، وقد أورث ذلك كله شعرهم صدقاً عاطفياً حاراً ينقل صورة صادقة لما كان عليه المعتزلة، إضافة إلى وجود المعاني العميقة والموضوعات الفكرية المبدعة التي لم يعرفها الشعر العربي قبل نشأة هذه الفرق الفكرية المذهبية، مما جعل شعراء المعتزلة وغيرهم من الفرق الأخرى يحفلون بجمال الصياغة وبراعة التعبير مغفلين كثيراً من عناصر التعبير الفني الجميل.

فهذه الفرق جميعها تعنى بالفكرة التي تريد نشرها دون غيرها من مظاهر التجميل والتوشية ، فلم يكن شعر هؤلاء سوى الوعاء الذي يصبون فيه أفكارهم أو البوق الذي يذيعها ، مما يجعلها قريبة الشبه بما يعرف في زماننا بالصحف الحزبية، وهؤلاء الشعراء في هذه السبل يتسلحون بالعقل ويتمكنون من الجدل ويتمسكون بتلابيب الفكر تمسكاً شديداً، ولا يخفى أن ذلك كله نتيجة طبيعية للتنوير العقلي الذي ساد عصرهم.

* * *

وعلى ما تقدم يظهر لنا بجلاء مدى احتواء قالب الشعر العربي هذه المذاهب بأفكارها المتباينة والأحزاب باعتقاداتها المختلفة، ولا يخفى ما كان

(٢٢) شعر بشر بن المعتمر وصحيفته البلاغية، تحقيق عدنان عبيد العلي، مجلة معهد المخطوطات، الكويت ١٩٨٢، مجلد ٣١، عدد ٢، ص ٥١٢؛ الجاحظ، الحيوان، ٤٥٥/٦.

لمعظمها من دوافع فكرية وثقافية وفدت عن البلاد المجاورة والحضارات المتتابة التي وصل إليها المسلمون مثل العراق وفارس، أو وفدت هي إلى المسلمين من خلال الاطلاع على كتب الفلاسفة وأفكارهم من قدماء الإغريق، إضافة إلى أصحاب الديانات الأخرى التي وجدت في كنف بلاد المسلمين وقت ذاك، وليس غريباً أن يصب ذلك كله في قالب الشعر لأن هذه الأفكار في معظمها أفكار ثورية والفنان - سواء أكان شاعراً أم غيره - نائر بطبعه متمرّد على واقعه ولا يرضى ولا يسلم إلا بما يمليه عليه وجدانه وحسه ، وتجدد الإشارة هنا إلى أن هذه الثورة تزيد وتقوى أسبابها وتتوهج دوافعها كلما كان لدى ذلك الشاعر ثقافة واسعة وفكر متنور يدفعه إلى الجدل والثورة والرغبة القوية في التغيير.

قائمة بأهم المصادر والمراجع

- الآمدي أبو القاسم الحسن بن بشر (٣٧٠هـ).
- ١- المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، نشرة كرنكو، مكتبة المقدسي، القاهرة ١٣٥٤هـ.
- ابن الأثير عز الدين أبو الحسن علي بن أحمد (٦٣٠هـ)
- ٢- أسدُ الغابة في معرفة الصحابة، المطبعة الوهبية، مصر ١٢٨٧هـ.
- ٣- الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت ١٩٦٥م.
- أحمد أمين
- ٤- ضحى الإسلام، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٩م.
- أحمد كمال زكي (دكتور)
- ٥- الحياة الأدبية في البصرة إلى نهاية القرن الثاني الهجري، ط دار المعارف، القاهرة ١٩٧١م.
- الأخطل غياث بن غوث (٩٠هـ)
- ٦- ديوان الأخطل، تحقيق أنطون صالحاني اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٨٩١م.
- ٧- شعر الأخطل، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، ط دار الفكر المعاصر، بيروت، دار دمشق ١٩٩٦م.
- أبو الأسود الدؤلي ظالم بن عمرو بن سفيان (٦٩هـ)
- ٨- ديوان أبي الأسود الدؤلي، تحقيق عبد الكريم الدجيلي، بغداد ١٣٧٣هـ.
- ٩- ديوان أبي الأسود الدؤلي، تحقيق محمد حسن آل ياسين، ط ٣، بيروت ١٩٧٤م.
- الأصمعي عبد الملك بن قريب (٢١٥هـ)
- ١٠- فحولة الشعراء، تحقيق ش. توري، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٧١م.

- ابن أعثم أحمد بن أعثم (٣١٤هـ)
- ١١- الفتوح، حيدر آباد الدكن ١٩٦٨م.
- أعشى ربيعة عبد الله بن خارجة بن حبيب (١٠٠هـ)
- ١٢- شعر أعشى بن ربيعة، ضمن كتاب الصبح المنير في شعر أبي بصير
ميمون بن قيس بن جندل والأعشى، والأعشى الآخرين، ط ٢، مكتبة
ابن قتيبة، الكويت ١٩٩٣م، ١٩٢٧م.
- أعشى همدان عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارس (٨٢هـ).
- ١٣- شعر أعشى همدان، ضمن كتاب الصبح المنير في شعر أبي بصير
ميمون بن قيس بن جندل الأعشى، والأعشى الآخرين، ط ٢، مكتبة
ابن قتيبة الكويت ١٩٩٣م، ١٩٢٧م.
- بشار بن برد أبو معاذ المرعث (١٦٧هـ)
- ١٤- ديوان بشار بن برد، شرح وتحقيق وتكميل محمد الطاهر بن عاشور،
ط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٦م.
- البغدادي عبد القاهر بن طاهر (٤٢٩هـ)
- ١٥- الفرق بين الفرق، القاهرة ١٩٤٨م.
- البغدادي عبد القادر بن عمر (١٠٩٣هـ)
- ١٦- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق عبد السلام هارون، ط
الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩م.
- ١٧- خزانة الأدب، ط بولاق ١٢٩٩هـ.
- البكري أبو عبيد الله بعد الله بن عبد العزيز الأدبني (٤٨٧هـ)
- ١٨- سمط اللآلي شرح أمالي القالي، تحقيق عبد العزيز الميمني، دار
الكتب العلمية، بيروت (د.ت)، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٦م.
- البلاذري أبو الحسن (أو أبو العباس) أحمد بن يحيى (٢٧٩هـ)

١٩- أنساب الأشراف، الجزء الأول تحقيق محمد حميد الله ، طبعة معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٩م، ونشرت بقية الأجزاء في القدس ٩٣٦، ٩٣٨، وبيروت ١٩٧٩م.

- جابر عصفور (دكتور)

٢٠- أنوار العقل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٦م.

- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب (٢٥٥هـ)

٢١- البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون ، ط ٥، الخانجي ١٩٨٥م.

٢٢- الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط ٦، الخانجي ١٩٨٤م.

- جولد تسهير إجناس

٢٣- العقيدة والشريعة في الإسلام ، ترجمة محمد يوسف موسى وآخرين، دار الكتاب المصري ، القاهرة ١٩٤٦م.

- ابن حبيب محمد (٢٤٥هـ)

٢٤- أسماء المغتالين ضمن نواذر المخطوطات، تحقيق عبد السلام هارون، م ٢، ط ٢، القاهرة ١٩٧٣م.

٢٥- ألقاب الشعراء ضمن نواذر المخطوطات، تحقيق عبد السلام هارون، م ٢، ط ٢، القاهرة ١٩٧٣م.

- ابن حجر شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (٨٥٢هـ)

٢٦- الإصابة في تمييز الصحابة، المكتبة التجارية، مصر ١٩٣٩م.

- ابن أبي الحديد عز الدين عبد الحميد بن هبة الله المدائني (٦٥٦هـ)

٢٧- شرح نهج البلاغة، القاهرة ١٣٢٩هـ.

- ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (٤٥٧ هـ).

٢٨- جمهرة أنساب العرب، تحقيق إ. ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة ١٩٤٨م.

- حسان بن ثابت ؓ (٥٤هـ)

٢٩- ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، تحقيق الدكتور وليد عرفات، ط. دار صادر . بيروت ١٩٧٤م.

٣٠- ديوان حسان بن ثابت، تحقيق د. سيد حفني حسنين، ط دار المعارف، القاهرة ١٩٨٣م.

- أبو حنيفة الدينوري أحمد بن داود (٢٨٢هـ)

٣١- الأخبار الطوال، مطبعة السعادة، القاهرة ١٣٣٠هـ.

- ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (٦٨١هـ)

٣٢- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار صادر، بيروت ١٩٧٢م.

- الخوارج شعراء الخوارج

٣٣- شعر الخوارج، جميع وتحقيق د. إحسان عباس ، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٩٧٤م.

٣٤- ديوان الخوارج : شعرهم - خطبهم - رسائلهم ، جمعه وحققه د. نايف معروف، ط. دار المسيرة، بيروت ١٩٨٣م.

- ابن الخياط أبو الحسين عبد الرحيم محمد بن عثمان (٣٠٠هـ)

٣٥- الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد، ط دار الكتب المصرية ١٣٤٤هـ.

- داود الأنطاكي (١٠٠٨هـ)

٣٦- تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق، تحقيق وشرح الدكتور محمد التونجي، ط ١، عالم الكتب، بيروت ١٩٩٣م.

- ابن دردي أبو بكر محمد بن الحسن (٣٢١هـ)

٣٧- الاشتقاق، تحقيق عبد السلام هارون ، ط دار الجيل ، بيروت ١٩٨٠م.

- الزركلي خير الدين

٣٨- الأعلام، ط ١٤، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩٩م.

- ابن سعد أبو عبد الله محمد (٢٣٠هـ)

٣٩- الطبقات الكبرى، تحقيق سهيل الكيالي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ١٩٩٤م.

- ابن سلام الجمحي محمد (٢٣١هـ)

٤٠- طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر، الخانجي، القاهرة، ١٩٨٧م.

- سهير القلماوي (الدكتورة)

٤١- أدب الخوارج في العصر الأموي، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٥م.

- السيد الحميري إسماعيل بن محمد (١٧٣هـ)

٤٢- ديوان السيد الحميري، تحقيق شاكر هادي شكر، مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٦م.

- السيوطي جلال الدين أبو عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ)

٤٣- شرح شواهد المغني، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت (د.ت)

- ابن شاكر الكتبي محمد بن شاكر بن أحمد (٧٦٤هـ)

٤٤- فوات الوفيات، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٥١م.

- الشهرستاني محمد بن عبد الكريم (٥٤٨هـ)

٤٥- الملل والنحل، تقديم وإعداد د. عبد اللطيف محمد العبد، ط ١، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٧م.

- شوقي ضيف (الدكتور)

٤٦- التطور والتجديد في الشعر الأموي، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٧م.

٤٧- العصر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٦م.

- الصفدي صلاح الدين خليل بن أبيك (٧٦٤هـ)

٤٨. الوافي بالوفيات، تحقيق س. ديد يرنگ، استنبول ١٩٤٩م.

- الطبري أبو جعفر محمد بن جرير (٣١٠هـ)

- ٤٩- تاريخ الأمم والملوك ، ط ٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩١ م.
- الطرماح بن حكيم أبو نفر أو أبو خبينة الطائي (١٢٥ هـ)
- ٥٠- ديوان الطرماح بن حكيم ، تحقيق د. عزة حسن ، دار الشرق العربي ، بيروت - حلب ١٩٩٤ م.
- طه حسين (الدكتور)
- ٥١- حديث الأربعاء ، دار المعارف ، ط ١٢ ، ١٩٨١ م.
- العباسي عبد الرحيم بن أحمد (٩٦٣ هـ)
- ٥٢- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد عالم الكتب ، بيروت (د.ت).
- ابن عبد البر الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله (٦٣٠ هـ)
- ٥٣- الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ط حيدر آباد - الدكن (١٣٣٢ هـ).
- عبد الرحمن بدوي (الدكتور)
- ٥٤- مقدمة عن تاريخ الإلحاد في الإسلام ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٤٥ م.
- عبد الله بن الزبير الأسدي (٧٥ هـ)
- ٥٥- شعر عبد الله بن الزبير الأسدي ، جمع وتحقيق الدكتور يحيى الجبوري ، منشورات وزارة الإعلام ، الجمهورية العراقية ، بغداد ١٩٧٤ م.
- ابن عبد ربه شهاب الدين أبو عمر أحمد بن محمد (٣٢٨ هـ)
- ٥٦- العقد الفريد ، تحقيق أحمد أمين ، وأحمد الزين وإبراهيم الإبياري ، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٨ م.
- عبيد الله بن قيس الرقيات (٨٥ هـ)
- ٥٧- ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ، تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت ١٩٥٨ م.

٥٨- شعر ابن قيس الرقيات بين السياسة والغزل، تحقيق ودراسة دكتور إبراهيم عبد الرحمن، ط ١، الشركة المصرية العالمية للنشر (لونج مان) ١٩٩٦م.

- ابن عساكر أبو القاسم علي بن الحسين (٥٧١هـ)

٥٩- تهذيب تاريخ ابن عساكر، تصحيح عبد القادر بدران، ط مطبعة روضة الشام، دمشق (د.ت).

- أبو عطاء السندي أفلح بن يسار (بعد ١٨٠هـ)

٦٠- أبو عطاء السندي، حياته وشعره، صنعة قاسم راضي مهدي، مجلة المورد، المجلد التاسع، العدد الثاني ١٩٨٠م.

- أبو الفداء الملك المؤيد إسماعيل بن علي محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب (٧٣٢هـ)

٦١- المختصر من أخبار البشر، القاهرة ١٣٧٤هـ.

- أبو الفرج الأصفهاني علي بن الحسين (٣٥٦هـ)

٦٢- الأغاني تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وجماعته، ط ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢م.

٦٣- الأغاني تحقيق إبراهيم الإياري، ط دار الشعب، القاهرة ١٩٦٩م.

٦٤- الأغاني طبعة الساسي، مطبعة التقدم، القاهرة ١٣٢٢هـ.

٦٥- مقاتل الطالبين، ط الحلبي، القاهرة ١٣٦٥هـ.

- فلهوزن يوليوس

٦٦- الخوارج والشيعة، ترجمة عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٨م.

- ابن قتيبة عبد الله بن مسلم (٢٧٦هـ)

٦٧- الإمامة والسياسة، المكتبة المصرية، القاهرة ١٣٢٥هـ.

٦٨- الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط ٣، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٧م.

٦٩- المعارف، تحقيق د. ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣

م.

- ابن كثير عماد الدين بن إسماعيل القرشي (٧٢٤هـ).

٧٠- البداية والنهاية، ط السعادة، القاهرة (د.ت).

- كثير عزة كثير بن عبد الرحمن الخزاعي (١٠٥هـ)

٧١- ديوان كثير عزة ، جمعه وشرحه الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة،

بيروت ١٩٧١م.

- ابن الكلبي هشام بن محمد بن السائب الكلبي

٧٢- جمهرة النسب، تحقيق د. ناجي حسن ، ط ١، عالم الكتب، بيروت

١٩٨٦م.

- الكميت الأسدي أبو المستهل بن زيد (١٢٦هـ)

٧٣- ديوان الكميت بن زيد الأسدي، جمع وتحقيق د. داود سلوم، ط ٢،

عالم الكتب، بيروت ١٩٩٧م.

٧٤- ديوان الكميت بن زيد الأسدي، جميع وتحقيق د. محمد نبيل

طريفي، ط ١، دار صادر، بيروت ٢٠٠٠م.

٧٥- هاشميات الكميت ، ط ليدن ١٩٠٤م.

٧٦- هاشميات الكميت ، تفسير أبي رياش أحمد بن إبراهيم القيسي،

تحقيق داود سلوم، ونور حمودي القيسي، ط ١، عالم الكتب، ومكتبة

النهضة العربية، بيروت ١٩٨٤م.

- المبرد محمد بن يزيد الثمالي (٢٨٦هـ)

٧٧- الكامل في اللغة والأدب ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار

الفكر العربي، القاهرة (د.ت)

- محمد أبو زهرة

٧٨- تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب

الفقهية . ط دار الفكر العربي ، القاهرة (د.ت) .

محمد مصطفى هدارة (الدكتور)

٧٩- اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، المكتب الإسلامي ،

بيروت ١٩٨١م .

٨٠- الشعر العربي من الجاهلية حتى نهاية القرن الأول الهجري ، النشأة

والتطور ، دار المعارف ١٩٨١م .

المرزباني محمد بن عمران (٣٨٤هـ)

٨١- أخبار شعراء الشيعة ، تحقيق محمد الهادي الأميني ، ط المكتبة

الحيدرية بالنجف ١٩٦٨م .

٨٢- معجم الشعراء، تحقيق كرنكو ، ط مكتبة القدس ، القاهرة ١٣٥٤هـ .

٨٣- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ، تحقيق على محمد البجاوي ،

دار الفكر العربي ، القاهرة (د . ت) .

-المسعودي أبو الحسن على بن الحسين بن علي (٣٤٦هـ) .

٨٤- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محيي الدين عبد

الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ١٩٨٨م .

- النابغة الشيباني عبد الله بن المخارق (١٢٧هـ)

٨٥- ديوان نابغة بني شيبان ، ط ٣ ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة

٢٠٠٠م .

- النجاشي أبو الحارث سمعان (قيس) بن عمرو التجراني (٤١هـ)

٨٦- ديوان النجاشي ، تحقيق سليم النعيمي ، مجلة المجمع العلمي

العراقي ، المجلد ١٣ ، بغداد ١٩٦٦م .

- ابن النديم محمد بن إسحاق (٣٨٥هـ)

٨٧- الفهرست ، ط . دار المعرفة ، بيروت (د . ت) .

- نصر بن سيار بن رافع بن حَرْي الكناني (١٣١هـ)

٨٨- ديوان ناصر بن سيار ، جمع وتحقيق عبد الله الخطيب ، بغداد ١٩٧٢م

- نصر بن مزاحم بن سيار المنقدي (٢١٢هـ)
- ٨٩- وقعة صفين ، تحقيق عبد السلام هارون ، المؤسسة العربية الحديثة (د.ت) .
- النعمان القاضي (الدكتور)
- ٩٠- الفرق الإسلامية في الشعر الأموي ، ط دار المعارف ١٩٦٦م .
- النويري أحمد بن عبد الوهاب (٢٣٣هـ)
- ٩١- نهاية الأرب في فنون الأدب ، ط . دار الكتب المصرية ١٩٢٤م .
- أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله بن سهل (٣٩٥هـ)
- ٩٢- الصناعتين ، تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٥٢م .
- يوسف خليف (الدكتور)
- ٩٣- حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني الهجري ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٨م .
- ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي (٦٢٦هـ)
- ٩٤- معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩١م .
- ٩٥- معجم البلدان ، ط دار صادر ، بيروت ١٩٩٥م .

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٩	مقدمة
١١	تمهيد
١٩	الأميون والزيريون
٣١	الشعبة
٤٧	الخوارج
٦٣	المرجئة وبدايات المعتزلة
٧٥	المصادر والمراجع
٨٥	الفهرس

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

تم بحمد الله

مع تحيات

دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر

تليفاكس: ٥٢٧٤٤٣٨ - الإسكندرية